

تفضيل صالح الناس على سائر الأجناس

تأليف

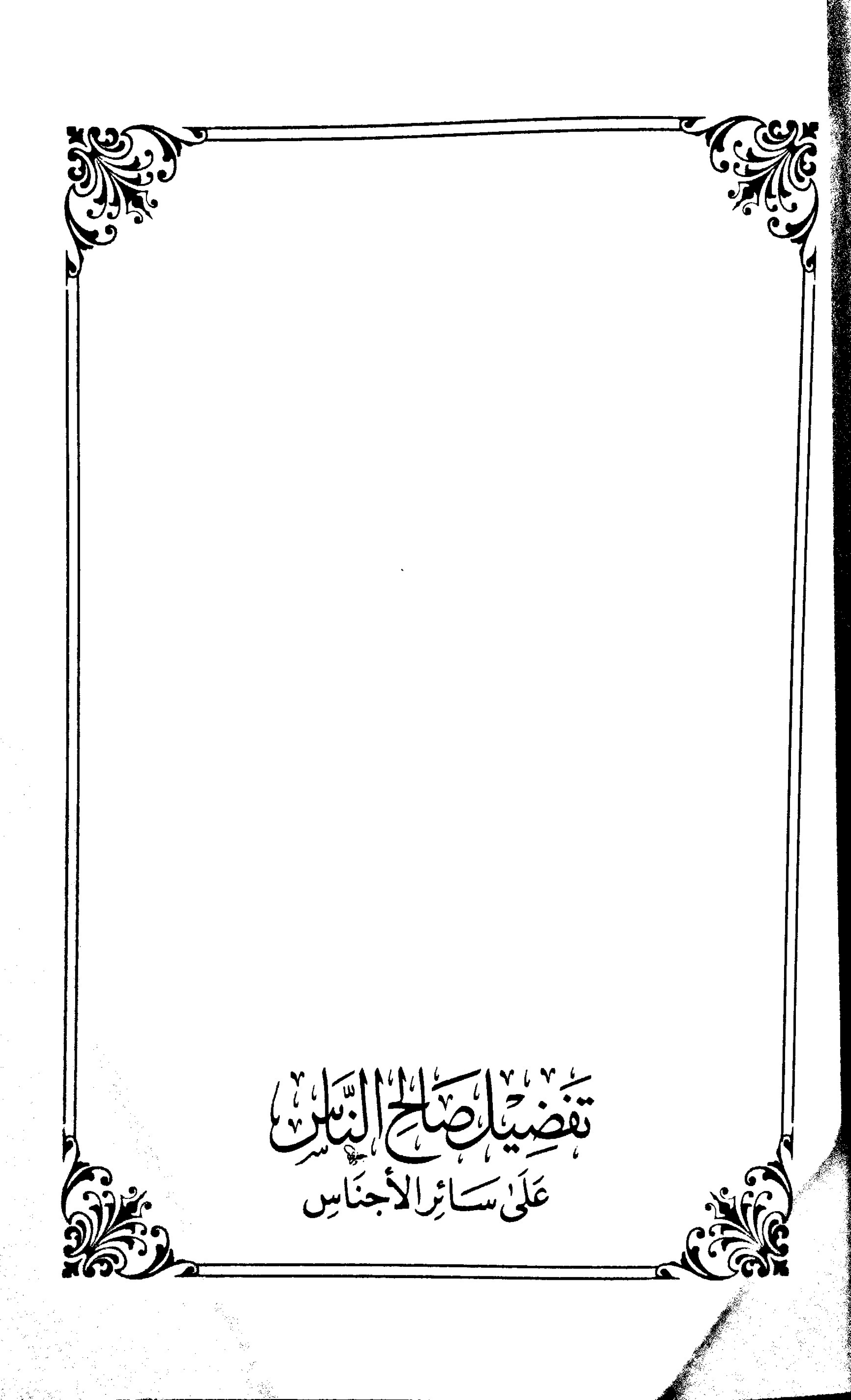
الإمام ابن تيمية

تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام
الحراني الدمشقي الحنبلي
(٦٦١ - ٧٢٨ هـ)

تحقيق

أحمد بن وجيه القطوعي

دار المقتبس



تفضيل صالح الناس ﷺ

على سائر الأجناس



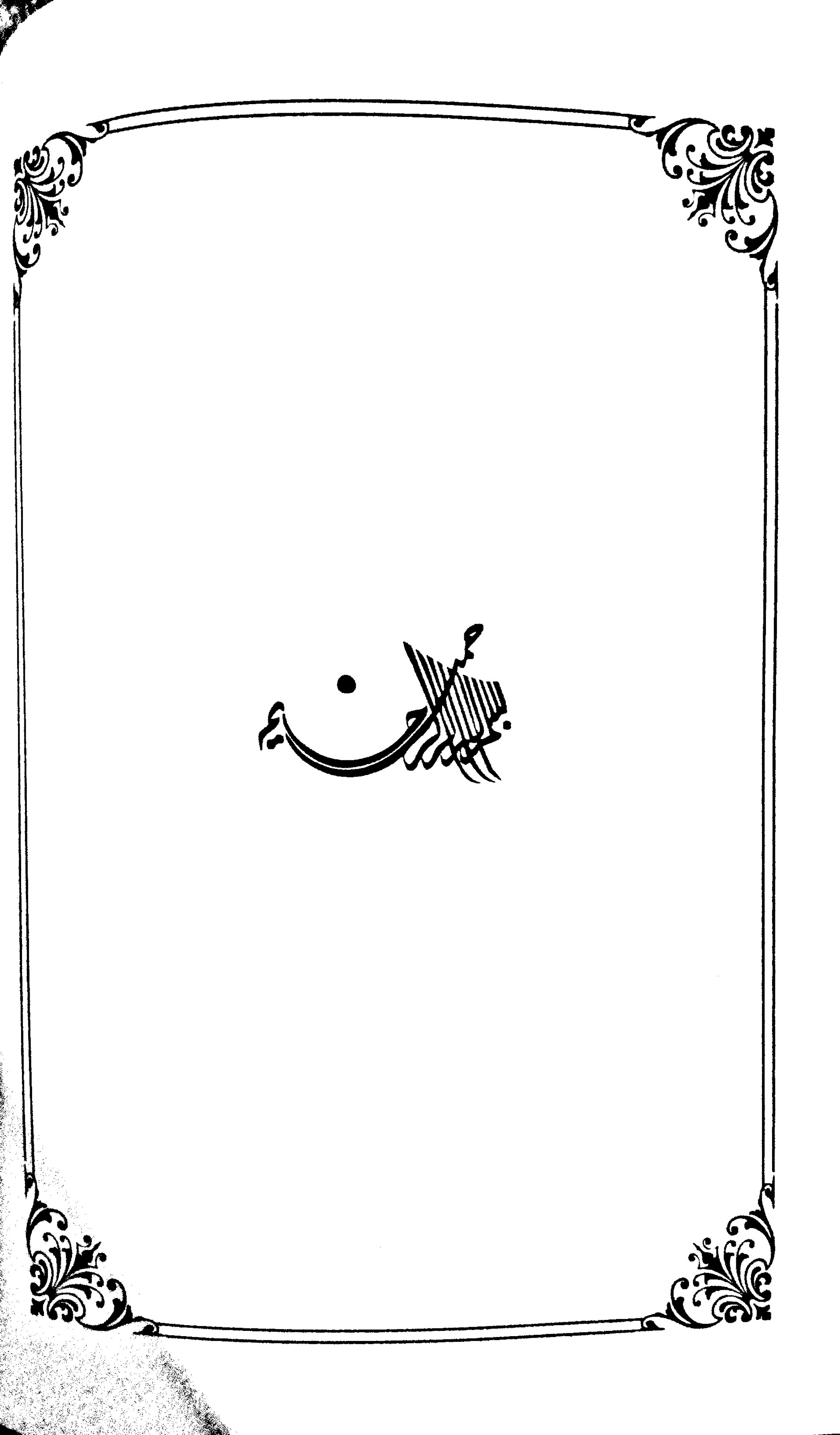
تأليف

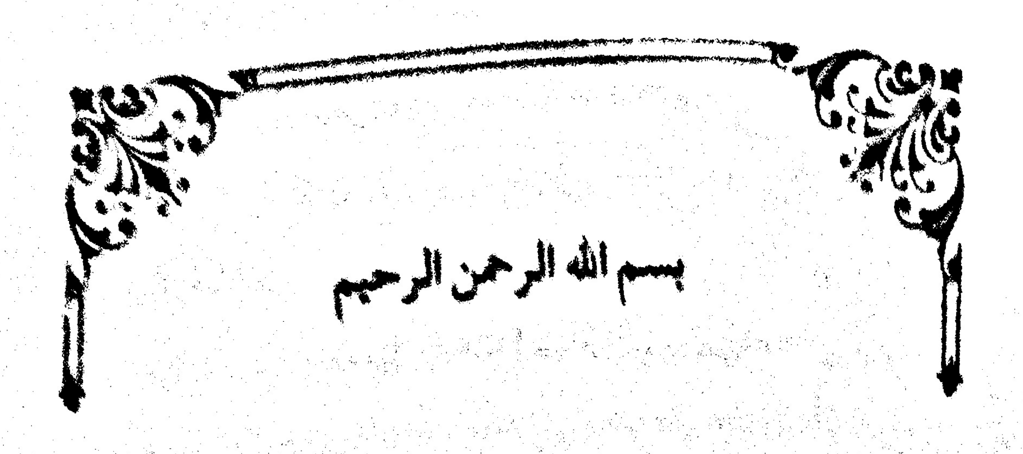
الإمام ابن تيمية

تقيّ الدّين أبي العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام
الحرّاني الدّمشقي الحنبلي
(٦٦١ - ٧٢٨ هـ)

تحقيق
أحمد بن وجيه القطوعي

دار المقتبس


بسم الله الرحمن الرحيم



إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضِل له، ومَن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسَلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد،

فإن أغراض التأليف وألوانه لا تقف عند حد، وهِمم العلماء في ذلك لا تنقطع إلا بانقطاع العلم؛ وذلك لكثرة المطالب الباعثة عليه والأسباب الداعية إليه.

ويُعَدّ التأليف من أهم أعمال شيخ الإسلام؛ فقد بَرَز فيه، وفاق أقرانه، بل فاق الأئمة المكثرين من التأليف قبله.

ومسألة المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر من الأنبياء والأولياء - حررها شيخ الإسلام كما هي عادته - بمنهج علمي رصين، قائم على الكتاب والسُّنة وفَهم سلف الأمة، وكيف لا وهو الداعي إليه؟!

لكن قد يَسأل سائل فيقول: لماذا البحث في هذه المسألة؟! وما النفع فيها؟!

نقول له:

أولًا ـ ألم تَرِد في هذه المسألة أدلة؟ فإذا أجاب بـ (بلى) فلا يوجد دافع أقوى من ورود أدلة من الكتاب والسُّنة لكي يُنشَر مثل هذه المسألة.

ثانيًا ـ هذه المسألة قد تكلم فيها المعتزلة وغيرهم من أهل البدع، فلماذا نَترك لأهل البدع البحث في هذه المسألة، ونحن أَوْلَى بها منهم؟!

ثالثًا ـ هذه المسألة ليست لعامة الناس، وإنما الأصل فيها أنها للمختصين.

رابعًا ـ كيف لا تُنْشَر وقد تكلم فيها أئمة كبار؟!

تنبيه: لم يَقُل أحد من أهل العلم بتفضيل بني آدم على الملائكة مطلقًا؛ لأن من بني آدم العصاة ومنهم غير المسلمين، وإنما المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر فقط.

وسوف أَعرض باختصار مذاهب العلماء في هذه المسألة:

* الأول: تفضيل الأنبياء وصالحي البشر على الملائكة. وهو مذهب الجمهور وأبي الحَسَن الأشعري.

جاء في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٤٤) وسُئل عن المطيعين من أمة محمد ﷺ هل هم أفضل من الملائكة؟ فذَكَر في الإجابة: وهذا هو المشهور عند المنتسبين إلى السُّنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم، وهو أن الأنبياء والأولياء أفضل من الملائكة.

قال ابن القيم: «وأما المقدمة الثانية ـ وهي كون الملائكة خيرًا وأشرف من الإنس ـ فهي المسألة المشهورة، وهي تفضيل الملائكة أو البشر. والجمهور على تفضيل البشر. والذين فَضَّلوا الملائكة هم المعتزلة والفلاسفة وطائفة ممن عداهم، بل الذي ينبغي أن يقال في التقديم هنا: إنه تقديم بالزمان لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٦ ـ ٢٧]»[1].

* الثاني ـ تفضيل الملائكة على صالحي البشر:

قال الإمام الأشعري في ذكر مذهب المعتزلة: «وأَجْمَعَتْ أن الملائكة أفضل من الأنبياء»[2].

وهو الظاهر من مذهب الإمام ابن حزم، فقد قال: «والملائكة أفضل خلق الله تعالى... ولا خلاف[3] في أن بني آدم أفضل من كل خلق سوى الملائكة، فلم يَبْقَ إلا الملائكة، وإسجاده تعالى الملائكة لآدم ـ على جميعهم السلام ـ سجود تحية؛ فلو لم يكونوا أفضل منه لم يكن له فضيلة في أن يُكْرَم بأن يحيوه»[4].

---

(١) «بدائع الفوائد» (١/ ١١٧).

(٢) «مقالات الإسلاميين» (ص٢٢٦).

(٣) هذا على ما يراه الإمام ابن حزم.

(٤) «المُحَلَّى» (١/ ٣٣).

* الثالث - التفصيل:

ذَكَره شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٤٣)، ونَقَلها عنه ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٣/ ١١٠٤):

«ومنها: أنه سُئل عن صالحي بني آدم والملائكة، أيهما أفضل؟

فأجاب بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية؛ فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى، مُنَزَّهون عما يلابسه بنو آدم، مُستغرِقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر. وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة، فيصير حال صالحي البشر أكمل من حال الملائكة».

* الرابع - مَن يَرى أنها من فضول المسائل:

ولقد نزع جماعة من أهل العلم إلى أن هذه المسألة من فضول المسائل.

قال البيهقي في التفاضل بين الملائكة والبشر: «والأمر فيه سهل، وليس فيه من الفائدة إلا معرفة الشيء على ما هو به»[1].

* الخامس - التوقف:

قال ابن أبي العز عن الإمام أبي حنيفة: «فإن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه وقف في الجواب عنها، على ما ذَكَره في «مآل الفتاوى» فإنه ذَكَر مسائل لم يَقطع أبو حنيفة فيها بجواب، وعَدّ منها التفضيل بين الملائكة والأنبياء»[2].

---

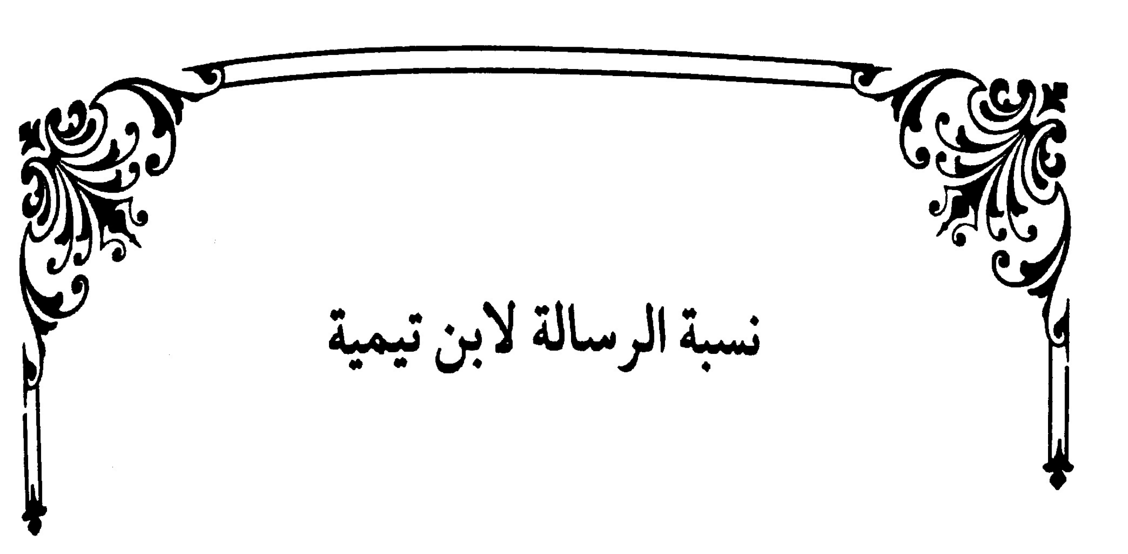
(١) «شُعَب الإيمان» (١/ ١٨٢).

(٢) «شرح الطحاوية» (٢/ ٤١١).

أخيرًا: والمُعتبَر رجحان الدليل، ولا يُهجَر القول لأن بعض أهل الأهواء وافق عليه، بعد أن تكون المسألة مختلفًا فيها بين أهل السُّنة.

والتفضيل إذا كان على وجه التنقص أو الحَمِية والعصبية للجنس - لا شك في رده، وليست هذه المسألة نظير المفاضلة بين الأنبياء؛ فإن تلك قد وُجِد فيها نص ظاهر، وهو قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] الآية. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

* * *



نسبة الرسالة لابن تيمية

لا شك عندي في نسبتها للإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ لعدة أسباب:

١ـ العَلَّامة ابن رَشيق، وهو مِن أعرف الناس بكتب شيخ الإسلام، قال في كتابه «أسماء مؤلفات ابن تيمية» برقم (٣٢): «قاعدة في تفضيل صالحي الناس على سائر الأجناس».

٢ـ نَسَبها له الإمام ابن عبد الهادي في كتابه «العقود الدُّرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية» (ص٥٢) ط/ عالم الفوائد: «وكتاب تفضيل صالح الناس على سائر الأجناس».

٣ـ النسخة الخطية للكتاب، فهي تقع في مجموعٍ كله لشيخ الإسلام ابن تيمية، وفيها رسائل معروفة، مثل «الواسطية» وغيرها.

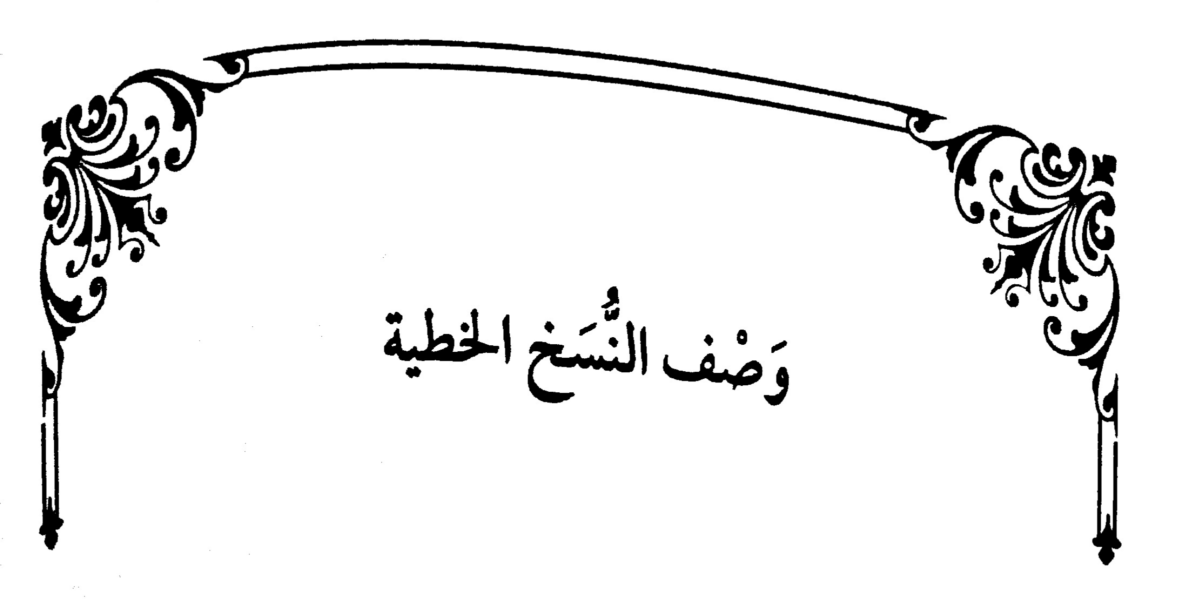
٤ـ عند ذكر الأدلة من السُّنة، الدليل العاشر، وذِكْر كتاب «السُّنة» لعبد الله بن أحمد، فذكَره شيخ الإسلام بإسناده عن شيخه الإمام ابن الصيرفي، جمال الدين أبي زكريا يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح بن رافع، الحَرَّاني الحنبلي.

وقد ذكَره الحافظ ابن عبد الهادي في شيوخ الإمام ابن تيمية، في كتابه

«العقود الدُّرية» (ص٦) ط/ عالم الفوائد.

٥ ـ جاء في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٤٤): وسُئل عن المطيعين من أمة محمد ﷺ، هل هم أفضل من الملائكة؟ فذَكَر في الإجابة: [ولنا في هذه المسألة مصنف مفرد، ذكرنا فيه الأدلة من الجانبين] والظاهر أنها هذه الرسالة التي بصدد تحقيقها.

* * *



وَصْف النُّسَخ الخطية

اعتمدتُ على ثلاث نُسَخ:

الأولى: مصدرها مكتبة رئيس الكتاب بتركيا، بـرقم (١١٥٣) وهـي تقع وَسَط مجموع كبير أكثره لشيخ الإسلام ابن تيمية، وجاء في آخِر رسالة لشيخ الإسلام تـاريخ النَّسْخ، وهـو (خـامس ذي القعـدة، مـن سَنة خمس وثلاثين وسَبعمِائة).

لكن آخِر رسالة في «المجموع» كله، وهـي شرح رسـالة ابـن فَـرَح في المصطلح، للعَلَّامة ابن عبد الهادي، كَتَب في آخرها: «كاتبها[1] أحمد بـن أبي بكر بن خليل بن علي بن عبد الرحمن، الطبراني الكاملي[2]... [يـوم السبت

(١) لعل الصواب: [كَتَبها].

(٢) وهو: العَلَّامة شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن علي، المعروف بـ (بوَّاب الكاملية) الحنبلي.. نَقَل ابن العماد عن العليمي في «طبقاته»: الشيخ الإمام، العَالِم القـدوة، عُني بالحديث كثيرًا، وسَمِع، وكان يتغالى في حُب الشيخ تقي الـدين، ويأخذ بأقواله وأفعاله، وكَتَب بخطِّه «تاريخ ابن كثير» وزاد فيه أشياء حسنة. «شذرات الذهب» (٩/ ٣٠٨).

[تاريخ كتابتها] ضحوة رابع شهر [ذي] الحجة، سَنة تسع عشر وثمانمائة»، ورررمزت لها بالحرف (أ).

والظاهر أنه هو ناسخ «المجموع» فقد راجعتُ الجزء السادس من «جامع الرسائل» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ط/ عالم الفوائد) فقد تم طباعة رسالة «فَصْل في الإسلام وضده» وهي بخطه، وراجعتُ النموذج المصور من المخطوط، فوَجدتُ الخط متشابهًا.

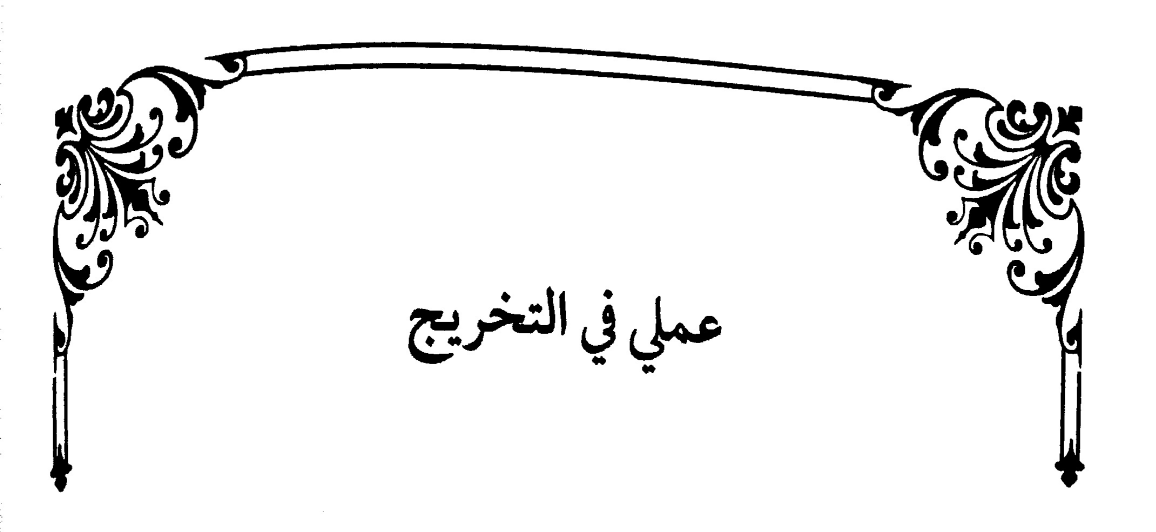
لكن تاريخ النَّسْخ في آخِر رسالة في مجموعنا، وهو (خامس ذي القعدة، من سنة خمس وثلاثين وسَبعمِائة) لا يَصلح أن يكون للعَلَّامة أحمد ابن أبي بكر الطبراني؛ لأنه لم يكن وُلِد وقتها، فلعله نَسَخها هكذا من الأصل الذي أَخَذ منه. والله أعلم.

تنبيه: النسخة الخطية تمتاز بأنها مُقابَلة ومُصحَّحة، وهي نسخة جيدة، لكن مما يَعيبها وجود مواضع فيها سقط وإشكالات ولكنها قليلة، ونَبَّه عليها الناسخ بقوله (فيها نظر) أو بالإشارة إلى أن فيها خللًا.

الثانية: نسخة جامعة «ييل» بأمريكا، ورَمَزْتُ لها بالحرف (ي)، وكأنها نسخة مختصرة للكتاب، لكن في مواضع يوجد بها زيادات، وقد استفدتُ منها.

وجاء في آخرها: (كتبه عبد الله ـــ أحمد، بدِمَشق المحروسة، سنة خمس وستين ومِائة بعد الألف، والحمد لله).

الثالثة: نسخة الرياض، ورَمَزْتُ لها بالحرف (ض)، ومصدرها مكتبة

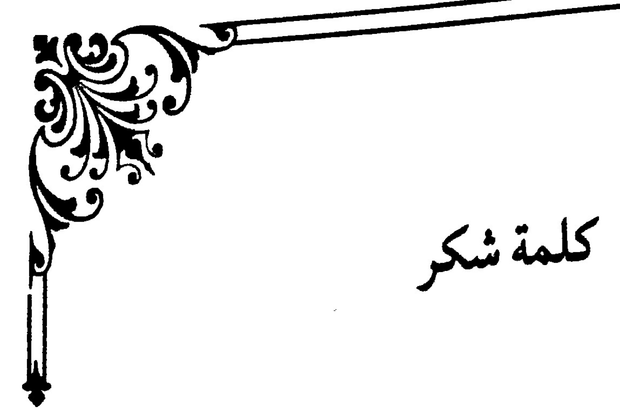


عملي في التخريج

اجتهدتُ قدر المستطاع في الحُكم على الحديث، مع عدم التوسع الشديد في ذكر الطرق والاختلافات، مع مراجعة كلام أهل العلم ولا سيما المتقدمون منهم.

ويوجد مواضع اعتمدتُ كلام أهل العلم من المتخصصين فيها فقط، ولم أنشط لتخريجها والاجتهاد في الحُكم عليها.

* * *



كلمة شكر

وأخص بالشكر الشيخ صالح الأزهري، خبير المخطوطات، فكان نِعم الناصح، ولم يَبخل بأي معلومة أو مساعدة لي.

والشيخ محمد آل الخضير؛ لِعدم تأخره في تبيين مشكل أو تقديم نصيحة لي.

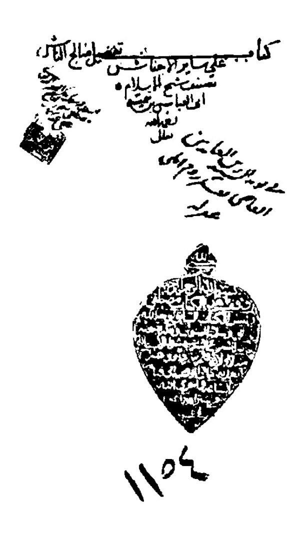
والشيخ رعد الحريري على ما وفره لي من نسخ خطية للكتاب.

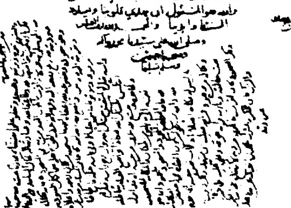
فجزاهم الله خيرًا.

□□□



صور المخطوطات



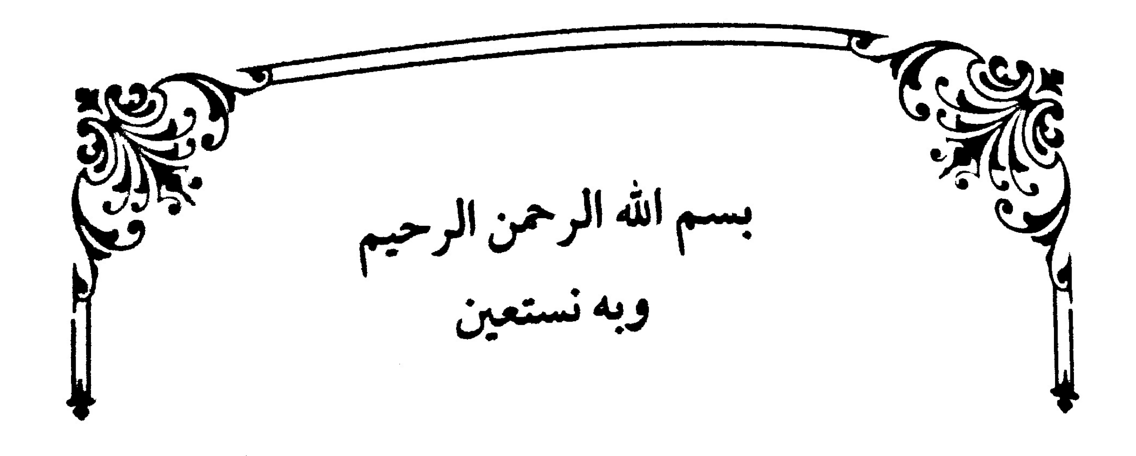


النسخة [أ]

فصل في المسألة المشهورة بين الناس في التفضيل بين الملائكة والناس من كلام شيخ الإسلام
ومفتي الأنام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى قال الكلام إما أن يكون في التفضيل بين الجنس
الملك والبشر أو بين صالحي البشر والملائكة أما الأول وهو أن يقال أيما أفضل الملائكة أو البشر
فهذه كلمة تحتمل أربعة أنواع النوع الأول أن يقال هل كل واحد من آحاد
الناس أفضل من كل واحد من آحاد الملائكة فهذا لا يقوله عاقل فإن في الناس الكفار والفجار
والجاهلين والمستكبرين والمؤمنين وفيهم من هو مثل البهائم والأنعام السائمة بل الأنعام
أحسن حالا منه ومن هؤلاء كما نطق بذلك القرآن في مواضع مثل قوله تعالى إن شر
الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون وقال تعالى إن شر الدواب عند الله الذين
كفروا فهم لا يؤمنون وقال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس إلى قوله أولئك كالأنعام
بل هم أضل أولئك هم الغافلون والدواب جمع دابة وهو كل ما دب في سماء وأرض من إنس
وجن وملك وبهيمة ففي القرآن ما يدل على تفضيل البهائم على كثير من الناس في خمس آيات
وقد وضع ابن المرزبان كتاب تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب وقد جاء في ذلك
من المأثور ما لا يستطاع إحصاؤه مثل ما في مسند أحمد رب مركوبة أكثر ذكرا لله
من راكبها وفضل البهائم عليهم من وجوه أحدها أن البهيمة لا سبيل لها إلى كمال
وصلاح أكثر مما تصنعه والإنسان له سبيل إلى ذلك فإذا لم يبلغ صلاحه وكماله الذي خلق
له بان نقصه وخسرانه من هذا الوجه وثانيها أن البهائم لها أهواء وشهوات
بحسب إحساسها وشعورها ولم تؤت تمييزا وفرقانا بين ما ينفعها ويضرها والإنسان
قد أوتي ذلك وهذا الذي يقال الملائكة لهم عقول بلا شهوات والبهائم لها شهوات بلا
عقول والإنسان له شهوات وعقل فمن غلب عقله شهوته فهو أفضل من الملائكة أو مثل الملائكة
ومن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه وثالثها أن هؤلاء لهم العذاب والنكال والخزي
على ما يأتونه من الأعمال الخبيثة فهذا يقتل وهذا يعاقب وهذا يقطع وهذا يجلد ويحبس
هذا في العقوبات المشروعة وأما العقوبات المقدرة فقوم أغرقوا وقوم أهلكوا بأنواع العذاب
وقوم ابتلوا بالملوك الجبابرة تحريقا وتغريقا وتمثيلا وخنقا وعمى والبهائم في أمان من ذلك و
رابعها أن لفسقة الجن والإنس في الآخرة من الأهوال والنار والعذاب والأغلال وغير

النسخة الثانية : [ي]

النسخة الثالثة: [ض]



بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله، وسَلَام على عباده الذين اصطفى، رَبَّنا لا تُزِغ قلوبنا بعد إذ هديتَنا، وَهَبْ لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب. هذه كلمات في المسألة المشهورة بين الناس، من التفضيل بين الملائكة والناس، كَتَبْتُ بعض ما حضرني مما أرجو أن يكون فيه تحقيق ما أشكل فيها، والله الهادي إلى سواء السبيل.

فأقول[١]: الكلام إما أن يكون في التفضيل بين الجنسين[٢]: المَلَك والبَشَر، أو بين صالح البَشَر والمَلَك[٣]. أما الطَّرَف الأول، وهو أن يقال: أيما أفضل: المَلَك[٤] أو البَشَر؟ فهذه كلمة تحتمل أربعة أنواع من القول:

---

(١) في (ض): (قال).

(٢) في (ض): (من الجنس).

(٣) في (ط): (أو بين صالحي المَلَك والبَشَر).

وفي (ض): (وبين صالحي الملك والبشر).

(٤) في (ض، ي): (الملائكة).

النوع الأول: أن يقال: (كل واحد من آحاد الناس هل هو أفضل من كل واحد من آحاد الملائكة).

فهذا ما لا يقوله عاقل؛ فإن مِن[1] الناس الكفار والفُجار، والجاهلين والمستكبرين والمُعْرِضِين[2] [ممن هو مِثل البهائم، بل البهائم السائمة والأنعام الراعية][3] أحسن حالاً[4] من هؤلاء؛ كما قال[5] تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وأَخْبَرَ تعالى أن الكافر يقول يوم القيامة: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠].

وبَلَغَنا أن البهائم تُحاسَب يوم القيامة، وتَقتصّ الجَمّاء[6] مِن القرناء، ثم يقال

---

(١) في (ض، ي): (في).

(٢) في (ط، ض، ي) زيادة: (والمؤمنين).

(٣) في (ض، ي): (مَن هو مِثل البهائم والأنعام السائمة، بل الأنعام) مكان ما بين المعقوفين، لكن في (ض): (وفيهم مَن هو).

(٤) في (ي): زيادة: (منه).

(٥) في (ض، ي): (كما نَطَق بذلك القرآن في مواضع، مثل قوله).

(٦) هي التي لا قَرْن لها.

لها: (كوني ترابًا) فحينئذٍ يقول الكافر: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠][1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥].

فالدواب[2] جَمْع دابة، وهو كل ما دب في سماء أو أرض، من إنس وجن وَمَلَك، وبهيمة.

فهذه[3] خمس آيات تُبيِّن تفضيل البهائم على بعض الناس، وبِناء على ذلك وَضَع ابن المَرْزُبان[4] كتاب «تفضيل الكلاب على كثير ممن لَبِس

---

(١) أصل الحديث في «صحيح مسلم» (٢٥٨٢) بلفظ: عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لَتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجَلْحَاء من الشاة القَرْنَاء».

أما باقي الحديث، فقد أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» مُعلَّقًا موقوفًا على أبي هريرة.

وله شاهد عند الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٥) موقوفًا على عبد الله بن عمرو. ولعل هذا له حُكْم الرفع.

(٢) في (ض، ط، ي): (والدواب) ولعلها أفضل.

(٣) في (ض، ي): (ففي القرآن ما يدل على تفضيل البهائم على كثير من الناس في).

(٤) هو: محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان بن بسام، المحولي البغدادي الآجُري، صاحب التصانيف. رَاجِع ترجمته في «سِيَر أعلام النبلاء» (١٤/ ٢٦٤).

الثياب»[1] وقد جاء في ذلك من المأثور ما لا نستطيع إحصاءه، مثل الحديث المأثور[2]: «رُبَّ دابة[3] أكثر ذِكرًا لله من راكبها وأطْوَع»[4].

وفضل البهائم عليهم من وجوه[5] نكتب بعضها:

---

(١) له مخطوط - فيما أذكر - في المكتبة الوطنية بباريس، على موقعهم على الشبكة العنكبوتية.

(٢) في (ض، ط، ي): (مِثل ما في «مسند أحمد»).

وفي (أ) هنا حاشية وهي: هذا الحديث في «مسند أحمد»: «رُبَّ مركوبة أكثر ذِكرًا لله من راكبها».

(٣) في (ض، ط، ي): (مركوبة) وهكذا في «مسند أحمد».

(٤) ضعيف: أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٦٢٩)، (١٥٦٥٠) لكن في السند ابن لَهيعة، وليست من رواية العبادلة عنه.

واختُلف على ابن لَهيعة: فمَرَّة يرويه عن يزيد بن أبي حبيب، ومَرَّة عن زَبَّان. وأظن هذا الخلاف بسبب أوهام ابن لَهيعة.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٣٢) من طريق زَبَّان. وفيه أيضًا رِشدين ابن سعد، وهو ضعيف.

ومدار الأسانيد على سهل بن معاذ، وعلى فرض صحت الأسانيد إليه فمثله لا يَتحمل التفرد بالحديث لضعفه.

وأخرجه البيهقي في «شُعَب الإيمان» (٤٨٢٥)، لكن من كلام الإمام ابن المبارك. وأخرجه ابن أبي شيبة في «المُصَنَّف» (٢٥٩٦٥)، لكن بسند مقطوع.

(٥) في(أ) (وفَضْلهم عليهم بيِّن من وجوه)، والمثبت من (ض، ي).

أحدها: أن البهيمة لا سبيل لها إلى كمال وصلاح أكثر مما تصنعه[1].

والإنسان له سبيل إلى أن يصلح ويكمل[2]، فإذا لم يبلغ صلاحه وكماله فذلك خزي له بأن نقصه وخسرانه من هذا الوجه.

وثانيها: أن البهائم لها أهواء وشهوات بحسب إحساسها وشعورها[3] ولم تؤت تمييزًا وفرقانًا بين ما ينفعها ويضرها. فالإنسان[4] قد أوتي ذلك، فيشتد بلاؤه إذا لم يعظم عناؤه.

وهذا الذي يقال: الملائكة لهم عقول وليست لهم[5] شهوات، والبهائم لها شهوات ولا[6] عقول لها، والإنسان له شهوة[7] وعقل، فمَن غَلَب عقلُه شهوتَه فهو خير من الملائكة[8]، ومَن غَلَبت[9] شهوتُه عقلَه فالبهائم خير منه.

---

(١) في (أ): (مما يصنعه). والمثبت من (ض، ي).

(٢) في (ي): (ذلك)، وفي (ض): (لذلك) مكان (أن يصلح ويكمل).

(٣) في (ض، ط، ي): (وشعورها).

(٤) في (ض، ي): (والإنسان).

(٥) في (ض، ي): (بلا) مكان (وليست لهم).

(٦) في (أ): (فلا)، وفي (ض، ط، ي): (بلا)، والمثبت اجتهاد مني، ولعله أفضل.

(٧) في (ض، ي): (شهوات).

(٨) في (ض، ي): (فهو أفضل من الملائكة، أو مثل الملائكة).

(٩) في (أ): (غلب)، والمثبت من (ط، ي).

وثالثها: أن هؤلاء لهم العذاب والنَّكال والخِزي؛ على ما يأتونه من الأعمال الخبيثة! فهذا يُقتَل، [وهذا يُعاقَب][1] وهذا يُقْطَع، وهذا يُجْلَد، وهذا يُعَذَّب [ويُحبَس][2]. هذا في العقوبات المشروعة، وأما العقوبات المُقَدَّرة[3] فقوم أُغْرِقوا، وقوم أُهْلِكُوا بالريح[4]، وقوم بالخسف والقذف، وقوم بالصيحة، وقوم بالظُّلَّة، وقوم بالسيف، وقوم ابتُلوا بالملوك الجائرة تغريقًا وتحريقًا، وتمثيلًا وخنقًا، وعمى[5]. والبهائم في أمان من عامة هذا[6].

ورابعها: أن لفسقة الجن والإنس في الآخرة من الأهوال في الموقف، والجحيم والأغلال، [والخلود في العذاب][7]... إلى غير ذلك مما أَمِنَتْ[8] منه البهائم - ما تُبَيِّن[9] لك حُسْن حال البهائم إذا أضيف إلى حال هؤلاء.

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ض، ي).

(٢) (ويُحبَس) زيادة من (ض، ط، ي).

(٣) في (أ): (المقدورة)، والمثبت من (ض، ط، ي).

(٤) في (ض، ي): (وقوم أهلكوا بأنواع العذاب).

(٥) كُتِب بالهامش: لعله: (وعما).

(٦) في (ض، ي): (ذلك).

(٧) يَقصد الكفار منهم، وسقطت من (ض، ي).

(٨) في (أ): (أومنت)، والمثبت من (ض، ط، ي).

(٩) لعل (يبين) أولى، وفي (ض، ي): (بيّن).

وخامسها: أن البهائم جميعها مؤمنة بالله ورسوله، مُسَبِّحة له قانتة[1]، وقد قال النبي ﷺ فيما بَلَغَنَا عنه: «إنه ليس على وجه الأرض شيء إلا وهو يَعلم أني رسول الله، إلا فسقة الإنس والجن»[2]. وأما عكس هذه المقالة ففيه الخلاف.

النوع الثاني من القول: أن يقال: (مجموع الناس أفضل من مجموع الملائكة، من غير توزيع الأفراد على الأفراد).

فهذا[3] على القول بتفضيل صالح[4] البشر على الملائكة - فيه نظر، لا عِلم لي بحقيقته؛ فإنا نُفَضِّل مجموع القرن الثاني على القرن الثالث، مع علمنا أن[5] كثيرًا من أهل القرن الثالث أفضل من كثير من أهل القرن الثاني.

النوع الثالث: مَرَّ القول أَنَّا إذا قابلنا الفاضل بالفضائل، والذي يلي

---

(١) في (ض، ط، ي): (مسبحة بحمده قانتة).

(٢) في إسناده ضعف: أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤٣٣٣)، وعبد بن حُمَيد في «المُنتخَب» (١١٢٠)، والدارمي في «مسنده» (١٨).

وفيه الذَّيَّال بن حَرْمَلة، لا أعرف أحدًا وثقه إلا ابن حِبان. وابن حِبان متساهل في توثيق المجاهيل.

(٣) في (ض.ي): (وهذا).

(٤) في (ض، ي): (صالحي).

(٥) لعل (بأن) أفضل.

الفاضل بمن يليه من الجنس الآخَر، فأي القبيلين[1] أفضل؟

فهذا مع القول بتفضيل صالح[2] البشر يقال: لا شك أن المَفضولين من الملائكة أفضل من كثير من البشر، وفاضلي البشر أفضل من فاضليهم، لكن التفاوت[3] الذي بين فاضلي[4] الطائفتين أكثر [من][5] التفاوت[6] الذي بين مفضولهم، هذا غير معلوم لنا، والله أعلم[7] بخلقه.

النوع[8] الرابع: أن يقال: حقيقة المَلَك والطبيعة المَلَكية أفضل، أم حقيقة البشر والطبيعة البشرية؟

هذا كما أنَّا نَعلم أن حقيقة الحي من حيث هو[9] حي - أفضل من الموات[10]، وحقيقة القوة والعلم من حيث هي كذلك - أفضل من حقيقة

---

(١) في النسخ الخطية (القبيلتين)، ولعل ما أثبته أفضل.

(٢) في (ض، ي): (صالحي).

(٣) في (أ): (التقارب) والمُثبَت من (ض، ط، ي).

(٤) في (ض، ي): (فاضل).

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من عندي، والسياق يقتضيها.

(٦) في (ض، ي): (والتفاوت).

(٧) كُتِب في الهامش: لعله (عليم).

(٨) في (ي): (والنوع).

(٩) في (ض، ي): (إذ هو) مكان (من حيث هو).

(١٠) في (ض، ي): (الميت).

الضعف والجهل، وحقيقة الذَّكَر أفضل من حقيقة الأنثى، وحقيقة الفَرَس أفضل من حقيقة الحمار، وكان في أعيان النوع[1] المفضول ما هو خير من كثير من أعيان النوع الفاضل [كالحمار الفاره مع الفَرَس الزَّمِن][2]، والمرأة الصالحة مع الرجل الفاجر، والقوي الفاجر مع الضعيف الزَّمِن.

والوجه[3] في انحصار القسمة في هذه الأنواع [وانتشارها][4] إليها ـ فإن كثيرًا من الكلمات المبهمة[5] تقع الفتيا فيها مختلفة، والرأي مشتبهًا؛ لفَقْد التمييز والتفضيل أن[6] كل شيء إما أن تُقَيِّده[7] من جهة الخصوص أو العموم أو الإطلاق.

فإذا قلتَ: (بَشَر ومَلَك) إما أن تريد هذا البشر [الواحد][8] فيكون خاصًّا، أو جميع جنس البشر فيكون عامًّا، أو تريد البشر مطلقًا مجردًا مُعَرًّى

---

(١) في (ض، ي): (نوع) مكان (أعيان النوع).

(٢) في (ض، ي): (كالحمار والفأرة والفرس الزَّمِن) مكان ما بين المعقوفين.

(٣) في (ض، ي): (وللوجه).

(٤) الظاهر أنها هكذا، وسقطت من (ض، ي).

(٥) في (ط): (المهمة).

(٦) لعل الأولى: (والتفصيل لأن)، وفي (ض، ي): (والتفصيل فأن).

(٧) كُتِبَتْ هكذا من فوق، ولعلها الأصوب. وكُتِب تحتها: (يغيره). وفي (ط): (نقيده)، وفي (ي) تحتمل (تقيده) أو (نقيده)، وفي (ض): (نقيده).

(٨) (الواحد) زيادة من (ض، ي).

عن قيد العموم والخصوص، وضَبط[1] القليل والكثير.

فالنوع[2] الأول: وقع الكلام في التفضيل عمومًا وخصوصًا.

والثاني: وقع فيه عمومًا.

والثالث: وقع فيه خصوصًا.

والرابع: وقع في الحقيقة المطلقة المجردة.

فنقول حينئذٍ: هذه المسألة على هذا الوجه لستُ[3] أعلم فيها مقالة سابقة مُفسَّرة، وربما نَاظَر بعضُ الناس على تفضيل المَلَك، وبعضهم على تفضيل البشر، وربما اشتبهت هذه المسألة بمسألة التفضيل بين الصالح وغيره.

لكن الذي يَسنح[4] لي - والله أعلم بالصواب - أن حقيقة المَلَك أكمل وأرفع، وحقيقة الإنسان أشمل[5] وأجمع.

وتفسير ذلك: أنّا إذا اعتبرنا الحقيقتين وصفاتهما النفسية، والتبعية اللازمة أو الغالبة، من الحياة والعلم والقدرة، واللذات والشهوات، وَجَدْنَا: أولًا - خَلْق المَلَك أعظم صورة، ومحله أرفع، وحياته أشد، وعِلمه

---

(1) في (ض، ي): (ضبطه).

(2) في (ض، ي): (والنوع).

(3) في (ض): (ليس).

(4) أي: يخطر.

(5) في (ض): كأنها (أسهل).

أكثر، وقُواه[1] أشد، وطهارته ونزاهته أتم، ونَيْله مطالبه أيسر وأتم، وهو عن المُنافي والمُضاد[2] أبعد.

لكن تجد جميع هذه الصفات للإنسان بحَسَب حقيقته منها أوفر حظ ونصيب من الخَلْق والحياة والعلم والقدرة والطهارة... وغير ذلك.

وله أشياء ليست للمَلَك، مِن إدراكه دقيق الأشياء حِسًّا وعقلًا، وتَنَعُّمه[3] بما يدركه ببدنه وقلبه؛ فهو يأكل ويَشرب ويَنكح، ويَنْمى ويتغذى[4] ويتفكر... إلى غير ذلك من الأحوال التي لا يشاركه المَلَك فيها.

لكن حظ المَلَك من القَدْر المشترك الذي بينهما أكثر من [حده][5] وما اشتركا فيه من الأمور أفضل بكثير مما به اختص الإنسان.

فمثاله: مثل[6] رجل معه مِائة دينار، وآخر معه خمسون دينارًا، أو خمسون درهمًا، أو خمسون فَلْسًا.

وإذا كان الأمر كذلك، ففَصْل الجواب كما سبق.

---

(١) في (أ): (وقُوَاها)، والمُثبَت من (ض، ط، ي).

(٢) في (أ) الظاهر أنها (والمضار)، وفي (ي): (والضار)، والمثبت من (ض، ط).

(٣) في (ط): (وتمتعه).

(٤) في (أ): (ويغتدى أو ويغتذي)، والمثبت من (ض، ط، ي).

(٥) هكذا في (أ)، وسقطت من (ض، ي).

(٦) في (ض، ي): (ومثاله: مثال).

وإن أردتَ الإطلاق فقل: الحقيقة المَلَكية المُطْلَقة بلوازمها أفضل من الحقيقة الإنسانية بلوازمها.

هذا لا شك فيه، فإن ما يَلزم حقيقة الإنسان من حياة وحس، وعلم وعمل، ونَيْل لذة وإدراك شهوة - ليست بشيء. وإنما تعددت[1] أصنافه إلى ما يَلزم[2] حقيقة المَلَك؛ [كما لا يشبه لحال[3] مَن عَلِم][4] من كل شيء طرفًا ليس بالكثير، إلى حال مَن أتقن العلم بالله وبأسمائه وبآياته[5]، [ولا يُشَبَّه بحال مَن معه دُرَّة رفيعة إلى حال مَن معه لؤلؤة ودرهم وفلس][6] ولا يشبه[7] لحال[8] مَن يَسُوس الناس كلهم، إلى حال مَن يَسُوس إنسانًا وفرسًا وبغلًا وحمارًا.

---

(١) في (ض، ي): (تعدت).

(٢) في (ض، ط، ي): (يشبه) ولعلها أصوب.

(٣) لعل الأفضل: (بحال)، وفي (ض): (كحال).

(٤) في (ي): (كمال من علم)، وفي (ض): (كحال من علم) مكان ما بين المعقوفين.

(٥) في (ض، ي): (وآياته).

(٦) في (ط): (ولا يشبه حال مَن معه درهم، إلى حال مَن معه دُرة).

وفي (ي): (ولا نسبة [في: ولا يشبه] لحال مَن معه درهم إلى حال مَن معه دُرة) مكان ما بين المعقوفين.

(٧) في (ي): (ولا نسبة) ولعلها الأصوب.

(٨) لعل الأفضل: (بحال).

وقد دل على هذا دلالة بينة قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[الإسراء: ٧٠].

فقوله: ﴿ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ دليل على أنهم لم يُفضَّلوا على الجميع.

[وقوله: ﴿مِّمَّنْ﴾ للتبعيض][١].

فإن قلتَ: هذا استدلالُ[٢] مفهوم المُخالَفة[٣]، وأنت فيه مُخالَف مُنازَع[٤].

يقال لك: تخصيص الكثير بالذِّكْر لا يدل على مُخالَفةِ غيره بنفي ولا إثبات.

وأيضًا: فإن مفهومه أنهم لم يُفَضَّلوا على ما سوى الكثير، فإذا لم يُفَضَّلوا فقد يُساوَون بهم، وقد يُفضَّل أولئك عليهم.

فإن الأحوال ثلاثة:

* إما أن يُفَضَّلوا على مَن بقي، أو يُفَضَّل أولئك [عليهم][٥] أو يُساوَون بهم.

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ض، ط، ي).

(٢) في (ي): (الاستدلال).

(٣) في (ض، ي): (للمخالف).

(٤) في (ض): (وأنت مخالف لهذا منازع فيه).

(٥) (عليهم) زيادة من (ض، ط، ي).

فمِن أين لك تفضيل أولئك؟

فأقول: أما مفهوم المُخالَفة، فالناس فيه مع الإطلاق على قولين:

أ ـ منهم مَن يراه دليلًا، وبه نقول، فتنبني الفروع على الأصول، الثانية[1] مع تجويز هؤلاء أن لا يكون مرادًا إذا دل على ذلك دليل.

ب ـ ومنهم مَن لا يراه بمجرده دليلًا؛ لجواز أن يكون حُكْم ما ترك مُبينًا، وبالحُكْم ما ذكر مع قول هؤلاء، وأنه يكون دليلًا إذا اقترن به وانضم إليه من القرائن والضمائم ما يدل على تخصيصه بالحُكْم.

فنقول: في هذا الموضع قد أريد اختصاص الكثير بتفضيل بني آدم عليهم؛ لوجهين:

أحدهما: أن هذه الآية في سياق عَدّ الله تعالى الآية على بني آدم وأياديه عليهم، فلو كان فَضَّلهم على جميع المخلوقات لأوجب الحال والمَقام ذِكر ذلك؛ فإن تخصيص أحد الجنسين مع استحباب الحال ذِكرهما ـ ليس من الحَسَن ولا الأحسن، وكلام ربنا تَقَدَّسَ عما عداهما.

وثانيهما: أنه لو قيل: (على مَن خَلَقْنَا) لكان أقل في اللفظ، وكان أجمع للمعنى، لو كان ذلك المعنى مرادًا، فالعدول إلى اللفظ الطويل مع نقص المعنى عن حقيقة الأمر ـ لا يَجوز إضافته إلى مَن له أدنى نظر بأساليب الكلام، والله أكبر كبيرًا.

---

(١) هكذا في (أ)، ولعله قَصَد (الثابتة).

وأما السؤال الثاني، فلعَمْري إنه كذلك، لكن إذا دلت هذه الآية على أنهم لم يُفَضَّلوا إلا على بعض المخلوقين، فبعضهم الآخر إن كان مماثلًا أو فاضلًا فعلى خلاف رأي المُنازِع.

ثم نقول[1]: اختلاف الحقائق والذوات لا بد أنها تؤثر في اختلاف الأحكام والصفات، وإذا اختلفت حقيقة البَشَر والمَلَك فلا بد من أن تكون إحدى[2] الحقيقتين أفضل؛ فإنَّ كَوْنهما مُتماثلَين مُتفاضلَين ممتنع.

وإذا ثَبَت أن أحدهما أفضل بهذه القضية المعقولة، وثَبَتَ عدم فضل البشر بتلك الكلمة الإلهية ثَبَتَ فضل المَلَك، وهو المطلوب[3].

الطرف الثاني[4]: [فالذي وَجَدْتُه في كتب الأصول من كتاب واضعي الكتب ـ ما ذَكَره المتسبون إلى السُّنة المُدَّعُوها المُحِبُّوها، ذَكَر أصحابنا أن الأنبياء والأولياء][5] أفضل من الملائكة.

وذهبت المعتزلة إلى أن الملائكة أفضل من جميع البشر[6].

---

(١) في (ض، ي): (قال) مكان (ثم نقول).

(٢) في (ض، ي): (فلا بد أن تكون أحد).

(٣) بالهامش (بَلَغ).

(٤) هكذا.

(٥) في (ض، ي): (وقد ذَكَر جماعة من المتسبين إلى السُّنة ـ أن الأنبياء وصالحي البشر) مكان ما بين المعقوفين.

(٦) في (ض، ي): (وذهبت المعتزلة إلى تفضيل الملائكة على جميع البشر).

وأتباع الأشعري على قولين: منهم مَن يُفضِّل الأنبياء والأولياء، ومنهم مَن يقف ولا يَقطع فيها قولًا[1].

وحُكِي عن بعضٍ آخَر هم وضعوه إلى قول المعتزلة[2] وربما حُكِي ذلك عن بعض مَن يَدَّعِي السُّنة ويواليها.

وَذُكِر لي عن بعض مَن يَتكلم في أعمال القلوب أنه قال: أما الملائكة المُدبِّرون للسموات والأرض وما بينهما، والمُوكَّلون ببني آدم؛ فهؤلاء أفضل منهم[3].

وأما الكَرُوبيون[4] الذين يرتفعون عن ذلك، فلا أحد أفضل منهم.

---

(١) في (ي): (شيء)، وفي (ض): (فيهما بشيء).

(٢) في (ط): (وحُكِي عن بعض متأخريهم أنه مال إلى قول المعتزلة)، وفي (ض،ي): (وحُكي عن بعضٍ آخر هم [أو آخرهم] أنه مال إلى قول المعتزلة) ولعله الأصوب.

(٣) في (ي): (فهؤلاء أفضل من هؤلاء الملائكة؛ يعني بني آدم أفضل من هؤلاء الملائكة، قال: وأما الكروبيون).

وفي (ض): (فهؤلاء أفضل من هؤلاء الملائكة، وأما الكروبيون).

(٤) جاء في تعريفهم أكثر من قول، منها: هم الذين يُسَبِّحون الليل والنهار. ومنها: هم الملائكة حَمَلة العرش. وغير ذلك، والله أعلم بالصواب.

جاء فيهم أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٤٢) عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، رضي الله عنهما «في هذه الآية: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾[الفرقان: ٢٥] قال:=

بنزل أهل سماء الدنيا، وهم أكثر من أهل الأرض ومن الجن والإنس، فيقول أهل الأرض: أفيكم ربنا؟ فيقولون: لا، وسيأتي، ثم تشقق السماء الثانية.

وساق أبو سلمة الحديث إلى السماء السابعة قال: فيقولون: أفيكم ربنا؟ فيقولون: لا، وسيأتي، ثم يأتي الرب تبارك وتعالى في الكروبيين، وهم أكثر من أهل السموات والأرض » لكن إسناده ضعيف؛ وعلته علي بن زيد بن جُدْعَان.

وقال السيوطي في كتابه «الحبائك في أخبار الملائك» (ص٢٥١) ط/ الكتب العلمية: (وفي الفائق: الكَرُوبيون: سادة الملائكة، منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، وهم المُقرَّبون، مِن (كَرَب) إذا قَرُب.

وفي «تذكرة الشيخ تاج الدين ابن مكتوم»: سُئِل أبو الخَطَّاب بن دِحْية عن الكَرُوبيين: هل يُعْرَف في اللغة أم لا؟ فقال: الكَرُوبيون ــ بتخفيف الراء ــ: سادة الملائكة، وهم المُقرَّبون، مِن (كَرَب) إذا قَرُب.

أنشد أبو علي البغدادي:

كَرُوبية منهم ركوع وسُجَّد)

وسُئِل العَلَّامة عبد الرحمن البراك:

جاء في كتاب «أعلام السُّنة المنشورة» في تقسيم الملائكة وذَكر منهم الكَرُوبيون، فمَن هم؟ وما هو الدليل على وجودهم؟ وما هي أعمالهم؟

الإجابة: الملائكة: خَلْق من خلق الله، وعَبيد من عَبيد الله، مربوبون مُدَبَّرون، ذَكَرهم الله في كتابه، وذَكَر بعض صفاتهم الخَلقية، وذَكَر أصنافهم، وذَكَر دوام عبادتهم وطاعتهم لربهم ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾[الأنبياء: ٢٠].

ومن أصناف الملائكة: الموكلون بكتابة أعمال العباد، والموكلون بحفظهم، والموكلون بقبض الأرواح كمَلَك الموت.

وربما خَصَّ بعضهم نبينا ﷺ واستثناه من عموم البشر، إما تفضيلًا على جميع أعيان[1] الملائكة، أو على المُدبِّرين منهم [أمر العالم][2].

هذا ما بَلَغني من كلمات الآخَرِين في هذه المسألة، وقد كنتُ أحسب أن القول فيها مُحْدَث فيوجب ذلك إهمال التحقيق فيها وقلة المبالاة بها، حتى رأيتُها أثرية سلفية صحابية، فَانْبَعَثَتِ الهمة إلى تحقيق القول فيها.

فقلنا حينئذٍ مما[3] قاله السلف الصالح: فروى أبو يعلى الموصلي[4] في

= وأما الكَرُوبيون، فإنه يراد بهم الملائكة المقربون، الذين هم حول العرش، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر: ٧].

ولا أعرف لهم ذكرًا بهذا اللفظ إلا في حديث الصُّور الطويل، وهو حديث لم يَثبت بطوله، لكن فيه ذكر أمور ثابتة بأدلة صحيحة.

وحديث الصُّور ذَكَره الإمام ابن كَثير في «تفسيره» عند قوله تعالى: ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ [الأنعام: ٧٣] ولكنه ذَكَرهم فيه عند «تفسيره» قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠] ولم يَذكر فيه شيئًا عن الكَرُوبيين، فارجع إليه، والله أعلم.

(١) في (أ): (أجناس)، والمثبت من (ض، ط، ي) ولعله الصواب.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ض، ي).

(٣) في (ض، ي): (بما) ولعلها الأفضل.

(٤) هو: أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثَنَّى التميمي، الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، =

«كتاب التفسير» المنثور[1] له عن عبد الله بن سَلَام وعبد الله بن عبد الله[2]، في علمه بالكتاب الأول، والكتاب الآخَر[3] وتقدمه إذ[4] كان كتابيًا، ثم شهادة النبي ﷺ بحُسْن الخاتمة[5].

ووصية معاذ به عند موته، وأنه أحد العلماء الأربعة الذين يُبتغَى العلم عندهم[6] قال: «ما خَلَق الله تعالى خلقًا أكرم عليه من محمد ﷺ». قال

مُحَدِّث الموصل، وصاحب «المسند» و«المعجم». للتوسع في ترجمته راجع «سِيَر أعلام النبلاء» (١٤/ ١٧٤).

(١) في (ط): (المشهور)، وفي (ض): (المنشور).

(٢) هكذا في (أ)، وسقطت من (ي).

(٣) في (ض، ي): (وكان عالمًا بالكتاب الأول، والكتاب الثاني) ولعلها أفضل.

(٤) في (أ) (إذا)، والمثبت من باقي النسخ.

(٥) في (ض): (وقد شهد له النبي ﷺ بحسن الخاتمة).

ودليله: ما أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧٠١٠) عن قيس بن عَبَّاد قال: كنتُ في حَلْقة فيها سعد بن مالك وابن عمر، فمر عبد الله بن سَلَام فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة. فقلت له: إنهم قالوا كذا وكذا. قال: سبحان الله! ما كان ينبغي لهم أن يقولوا ما ليس لهم به علم، إنما رأيتُ كأنما عمود وُضِع في روضة خضراء، فنُصِب فيها، وفي رأسها عروة، وفي أسفلها مِنْصَف ـ والمِنْصَفُ: الوَصِيفُ ـ فقيل: ارقه. فرَقِيتُ حتى أخذت بالعروة! فقصصتُها على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يموت عبد الله وهو آخذ بالعروة الوثقى».

(٦) أخرجه الترمذي في «سُننه» (٣٨٠٤) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ١٣٦) =

المُحَدِّث عنه: فقلت له[1]: ولا جبريل وميكائيل؟

قال: «فقال: يا بن أخي، أَوَ تَدري ما جبريل وميكائيل؟ إنما جبريل وميكائيل خَلْق مُسَخَّر مِثل الشمس والقمر، وما خَلَق الله تعالى خلقًا[2] أكرم عليه من محمد ﷺ»[3].

وروى عبد الله[4] في «التفسير» وغيره: عن مَعْمَر عن زيد بن أسلم[5]، أنه قال: «قالت الملائكة: يا ربنا، جَعَلْتَ الدنيا لبني آدم، الدنيا يأكلون فيها ويَشربون ويَنكحون - أو: كما قال - فاجعل لنا الآخرة. فقال: وعزتي لا أجعل صالح ذرية مَن خَلَقْتُ بيدي - كمَن قلتُ له: كن فكان»[6].

= عن يزيد بن عُمَيْرة قال: لما حضر معاذَ بن جبل الموتُ قيل له: يا أبا عبد الرحمن، أوصنا. قال: أجلِسوني. فقال: إن العلم والإيمان مكانهما، مَن ابتغاهما وَجَدهما - يقول ذلك ثلاث مرات - والتَمِسوا العلم عند أربعة رهط: عند عُوَيْمِر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد الله بن مسعود، وعند عبد الله بن سَلَام. وصححه الشيخ الألباني في «مِشكاة المصابيح» برقم (٦٢٣١) (٤٥).

(١) في (ض، ي): (قلت) مكان (فقلت له).

(٢) في (ض): (خَلْق).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لعله قَصَد عبد الرزاق؛ فهو في «تفسيره».

(٥) هو الإمام زيد بن أسلم، المدني الفقيه، مولى ابن عمر، رَوَى عن جَمْع من الصحابة رضي الله عنهم.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٩٢) من كلام زيد بن أسلم.

والقائلون من المهاجرين[1] قالوا: الأنبياء والأولياء. الظاهر أنهم أرادوا جميع الصالحين، كما في حديث زيد بن أسلم: «لا أجعل صالح ذرية مَن خَلَقْتُ بيدي».

= وإسناده صحيح.

وأخرجه موقوفًا على عبد الله بن عمرو بن العاص - الدارمي في «نقضه على بِشر المَريسي» (١/ ٢٥٦). وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث. وعبد الله بن عمرو معروف بالأخذ عن بني إسرائيل.

وأخرجه مرفوعًا عبد الله ابن الإمام أحمد في «السُّنة» (١٠٦٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٨٨).

وإسناده صحيح إلى عروة بن رُوَيْم، وهو من التابعين، لكن الإشكال في الواسطة بينه وبين النبي ﷺ، فقد قال: (أخبَرَني الأنصاري) فلا أدري هل هو صحابي أم ماذا؟ وأخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٥٢١)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٤/ ١١٠) من مسند جابر وهو أنصاري، فلعله هو رضي الله عنه.

وقال البيهقي في «شُعَب الإيمان» (١٤٧) بعد إخراجه الحديث: (وقال فيه غيره: عن هشام بن عمار بإسناده، عن جابر بن عبد الله الأنصاري. وفي ثبوته نظر).

وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» من مسند أنس (٥٢/ ١٣٩) وفيه (الحسن بن علي ابن خلف الصيدلاني) الظاهر أنه مجهول. وفيه مَن لم يتيسر لي ترجمته.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٥٨٤) مرفوعًا، لكن من طريق إبراهيم ابن عبد الله بن خالد المِصِّيصي، وهو متروك، فلا يَصلح شاهدًا.

(١) هكذا في (أ)، وهذا الموضع سقط من (ض،ي).

وهذا هو فَصْل الخطاب في هذه المسألة، أن [صالح بني آدم أفضل من الملائكة] وقد دل على ذلك أدلة مسموعة منصوصة، وأدلة مفحوصة مبحوثة مستنبطة، وكلا الصنفين معقول إما بواسطة سَمْع أو بغير واسطة سَمْع.

فالدليل الأول: قصة السجود لآدم، بأن الله تعالى أمَرَ الملائكة كلهم أجمعين أن يسجدوا لآدم، ولَعَن الممتنع من ذلك، فقد قَصَّ علينا في عدة آيات من كتابه عَوْدًا على بَدْء، مُخْبِرًا لنا بنعمته علينا قبل أن يخلقنا، وإحسانه إلينا وتفضيله إيانا على ملائكته، إذ أسجدهم لأبينا، فإن من الأمور المعقولة أن الساجد دون المسجود له، وأنه تشريف وتعظيم وتكريم له.

ولهذا كان الأولون يَتحيَّون بينهم بالسجود، ويَزعمون أنهم فعلوا ذلك بأنبيائهم. ولهذا سَجَدَتِ البهائم لسيد ولد آدم[1] بل هو أقصى غاية الذل؛ ولذلك صار مُحَرَّمًا لغير رب العالمين[2].

---

(١) منها: ما أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢٦١٤): عن أنس بن مالك قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جَمَل يَسْنُون عليه، وإن الجَمَل استَصعب عليهم، فمَنَعهم ظَهْره، وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إنه كان لنا جمل نَسْني عليه، وإنه استَصعب علينا، ومَنَعَنا ظَهْره، وقد عَطِش الزرع والنخل!

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا» فقاموا، فدخل الحائط، والجَمَل في ناحيته، فمشى النبي ﷺ نحوه، فقالت الأنصار: يا رسول الله، إنه قد صار مثل الكلب، وإنا نخاف عليك صولته! فقال: «ليس عليَّ منه بأس» فلما نظر الجَمَل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه، حتى خر ساجدًا بين يديه.

(٢) ودليله: ما أخرجه أحمد في «مسنده» (٢١٩٨٦)، وابن ماجه (١٨٥٣) وغيرهما،=

فهذا أمرٌ بيِّن في تفضيل ربنا آدم أبا البشر على جميع الملائكة.

ولهم على ذلك سؤالان أو ثلاثة:

أحدهما: ما زعمه بعض الأغبياء الجاهلين بالسُّنة واللسان، فقال: السجود إنما كان لله تعالى؛ كسجودنا اليوم، وكان[1] آدم قبلةً لهم يسجدون إليه، كما نسجد نحن إلى الكعبة، وليس في أن يسجدوا إليه تفضيلًا له عليهم؛ [كما أن[2] ليس في أن يُصَلَّى إلى الكعبة فضل لها على المصلين][3].

= وهذا لفظ أحمد: قال رسول الله ﷺ: «لو كنتُ آمرًا بشرًا يَسجد لبشر، لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها».

ولفظ ابن ماجه: عن عبد الله بن أبي أوفى قال: لَـمَّا قَدِم معاذ من الشام، سجد للنبي ﷺ. قال: «ما هذا يا معاذ؟!» قال: أتيتُ الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددتُ في نفسي أن نفعل ذلك بك! فقال رسول الله ﷺ: «فلا تفعلوا؛ فإني لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله، لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها» وهو حديث صحيح.

وقال القاضي عياض في كتابه «الشفا» (٢/ ٢٨٧) ط/ دار الكتب العلمية: «وكذلك نُكَفِّر بكل فعل أَجْمَع المسلمون أنه لا يَصدر إلا من كافر، وإن كان صاحبه مُصرِّحًا بالإسلام مع فعله ذلك الفعل؛ كالسجود للصنم، وللشمس والقمر، والصليب، والنار».

(١) في (ض، ي): (وجعل).

(٢) لعل الأفضل: (كما أنه).

(٣) في (ض، ي): (كما أن السجود إلى الكعبة ليس فيه تفضيل للكعبة على المؤمن =

... عند الله أفضل من ...

بل حرمة مؤمن(١) عند الله

وفضلوا ذلك بأشياء:

أحدها: أن السجود لغير الله مُحرَّم بل كُفر، فإن العبادة لا تَصلح إلا لمن له الخَلق والأمر، فكيف تَعبد الملائكة أحدًا غير الله؟!

وثانيها: أن السجود إكرام وتشريف، ولم يَسبق من آدم ما يَستوجب ذلك. وهذا مُؤَسَّس على الاعتزال للجماعة.

وثالثها: قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] فإنَّ تقدُّم الفاعل على الفعل موجب انحصاره فيها، كقوله تعالى](٣) ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وقوله: «ربنا ولك الحمد» وقوله: ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠] وقوله: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ﴾ [الليل: ١٣].

= عند الله) مكان ما بين المعقوفين.

(١) في (ض، ي): (المؤمن).

(٢) ودليله: عن عبد الله بن عمر قال: «رأيتُ رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة، ويقول: «ما أطيبكِ وأطيبَ ريحَكِ، ما أعظمَكِ وأعظمَ حرمتَكِ! والذي نفس محمد بيده، لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منكِ، ماله ودمه، وإن نظن به إلا خيرًا». أخرجه ابن ماجه (٣٩٣٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٩٦٦) وإسناده فيه ضعف. وجاء في «الجامع» لابن وهب (٢٢٥)، و«المُصنَّف» لابن أبي شيبة (٢٧٧٥٤) موقوفًا على ابن عباس.

(٣) ما بين المعقوفين ملحق بالهامش في (أ).

فتدل هذه القاعدة على[1] أنهم لا يسجدون إلا لله، وفي سجودهم لغيره نقض لذلك.

والجواب: أن السجود كان لآدم بأمر الله وفَرْضه، بإجماع مَن يُسمَع قوله.

ويدل على ذلك وجوه:

أحدها: أنه قال: (اسجدوا لآدم) ولم يقل: (إلى آدم). وكل حرف له معنى، فمِن التمييز في اللسان أن يقال: (سجدتُ له)، و(سجدتُ إليه) كما قال تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٧]. وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الرعد: ١٥].

وأجمَع المسلمون على أن السجود للأحجار والأشجار والناس والدواب ـ مُحرَّم، وأما الكعبة فيقال[2]: كان النبي ﷺ يُصلِّي إلى بيت المقدس، ثم صَلَّى إلى الكعبة، ولا يقال: صَلَّى لبيت المقدس ولا للكعبة. وكان يصلي إلى عَنَزة[3]، ولا يقال: لعَنَزة.

---

(١) (على) زيادة من عندي، والسياق يقتضيها.

(٢) في (ض، ي): (وأجمع المسلمون على أن السجود لغير الله محرم، وأما الكعبة فقد).

(٣) قال النووي في شرحه على مسلم (٤/ ٢١٩): (هي عصًا في أسفلها حديدة).

والحديث أخرجه البخاري (٣٥٥٣)، ومسلم (٥٠٣): «خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، وبين يديه عَنَزة».

وكان إذا صلى [صلَّى][1] إلى عمود أو شجرة، ولا يقال: لعمود ولا لشجرة.

والساجد للشيء يَخضع له بقلبه، ويَخشع له بفؤاده.

وأما الساجد إليه فإنما يولي وجهه وبدنه إليه ظاهرًا، كما يولي وجهه إلى بعض النواحي إذا أَمَّه؛ ولذلك جاء في التنزيل قوله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[البقرة: ١٤٤].

فأَمَر بتولية الوجه حَسْبُ. فتَدَبَّرْ هذا.

وثانيها[2]: أن[3] لو كان آدم قِبلة[4]، لم يَمتنع إبليس [من السجود له][5] ويَستكبر، ويَزعم أنه خير منه!

فإن القِبلة قد تكون أحجارًا، وليس في ذلك تفضيل لها على المصلين إليها.

وقد يصلي الرجل إلى العَنَزَة والبعير، وإلى الرَّجُل من جنسه، ولا يَتوهم أنه مفضول[6] بذلك!

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من عندي، ولعل السياق يقتضيها.

(٢) في (ض، ي): (والثاني).

(٣) لعل الأفضل: (أنه).

(٤) في (ض، ي): (أن آدم لو كان قبلة).

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ض، ي)، لكن (له) سقطت من (ض).

(٦) في (ي): (يفضل أو مفضل)، وفي (ض): (مفضل).

فمِن أي شيء فرَّ الشيطان؟! هذا هو العجب العجيب!

وثالثها[1]: أنه لو جُعِل آدم قِبلة في سجدة واحدة، لكانت الكعبة[2] وبيت المقدس أفضل منه بآلاف كثيرة، إذ جُعِلَتْ قبلة دائمة في جميع أنواع الصلوات.

فهذه القصة الطويلة العريضة التي قد جُعِلَتْ عَلَمًا له، ومن أفضل النِّعم عليه، وجاءت المَعالم برفعه بها[3]، وامتنان الله عليه بها - ليس فيها أكثر مِن أنْ جُعِلَ[4] كالكعبة في بعض الأوقات في بعض أركان الصلاة، مع أنه ببعض ما أُوتيَه من العلم والإيمان، والقُرْب من الرحمن - أفضل بكثير من الكعبة!

أولم يَسمع قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾[آل عمران: ٩٦]؟ فالبيت إنما وُضِع[5] له ولذريته، أفيُجْعَل من جسيم النِّعم عليه أن شُبِّهَ[6] به في شيء نزر قليل جدًّا؟! هذا ما لا يقوله عاقل.

وأما قولهم: (لا يجوز السجود لغير الله تعالى) فالجواب من وجوه:

---

(١) في (ض، ي): (والثالث).

(٢) في (ض، ي): (القبلة).

(٣) في (ض، ط، ي): (وجاءت إلى العالم بأن الله رفعه بها).

(٤) في (ض): (من أنه جعله)، وفي (ي): (من أنه جعل).

(٥) في (ي): (والكعبة إنما وضعت).

(٦) في (ض، ي): (يشبه).

أحدها: أن يقال لهم: إن قُبِلَتْ[1] هذه الكلمة على الجملة، فهي كلمة عامة، تَنفي بعمومها جواز السجود لآدم، وقد دل دليل خاص على أنهم سجدوا له، والعامّ لا يُعارِض ما يقابله من الخاص.

وثانيها: أن السجود لغير الله حرام علينا، أو على الملائكة.

أما الأول فلا دليل فيه، وأما الثاني فما الحُجة فيه؟

وثالثها: أنه حرام إنْ أَمَر الله به، أو حرام إن لم يأمر الله به.

[الثاني[2] حق ولا شفاء فيه][3]. وأما الأول فكيف يمكن أن يُحَرَّم بعد أن أمر الله تعالى به؟

ورابعها: أن أَبَوَيْ يوسف وإخوته خَرُّوا له سُجَّدًا، ويقال: كانت تحيتهم. فكيف يقال: إن السجود حرام مطلقًا؟!

وخامسها: أن[4] البهائم سَجَدَتْ[5] للنبي ﷺ، والبهائم لا تَعبد إلا الله تعالى[6].

---

(1) في (ض، ط، ي): (قيلت).

(2) في (ض، ي): (والثاني).

(3) ما بين المعقوفين هكذا في (أ) و(ض، ي)، ولعله يَقصد: [الثاني حق، ولا خفاء فيه].

(4) في (ض، ي): (وقد كانت).

(5) في (ض، ي): (تسجد).

(6) في (ط): (والبهائم لا تَعبد الله) وهذا خطأ واضح، ولعله خطأ في الطباعة.

فلا[1] يقال: يَلزم من السجود للشيء العبادة له!.

وسادسها: أن النبي ﷺ قال: «لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يَسجد لأحد، لأمرتُ المرأة أن تَسجد لزوجها؛ لعِظَم حقه عليها»[2].

ومعلوم أنه لا يقول[3]: لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يَعبد أحدًا.

---

(١) في (ض): (فكيف)، وفي (ي)على الوجهين.

(٢) جاء عن عدة من الصحابة، أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢٦١٤)، (١٢٦١٥)، والنَّسائي في «الكبرى» (٩١٠٢) من مسند أنس، لكن في السند حفص ابن أخي أنس، وهو ضعيف، ومِن أهل العلم مَن ضَعَّفه جدًّا.

وأخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٤٧١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧١٣٤) من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جُدْعان، وفيه كلام.

وأخرجه الترمذي في «سُننه» (١١٥٩) من مسند أبي هريرة. وفيه محمد بن عمرو الليثي، وفيه ضعف خفيف.

وله شواهد أخرى، وفي أسانيدها كلام مِن مسند ابن أبي أوفى، أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٤٠٣)، وابن ماجه (١٨٥٣).

ومن مسند معاذ بن جبل عند أحمد في «مسنده» (٢١٩٨٦) وغيره. وللحديث طرق أخرى.

والظاهر أن الحديث يصح بمجموع طرقه، وصححه الشيخ الألباني في «الإرواء» (١٩٩٨).

(٣) في (ض، ي): (لم يقل).

وسابعها: وفيه التفسير، أن يقال: أما الخضوع والقنوت بالقلوب، والاعتراف بالربوبية والعبودية، فهذا لا يصح[1] على الإطلاق إلا لله تعالى وحده؛ لأنه في غيره ممتنع باطل.

وأما السجود فشريعة من الشرائع، إذا أَمَرَنَا الله تعالى أن نسجد له سجدنا له، ولو أَمَرَنَا أن نسجد لأحد من خلقه[2] لسجدنا لذلك الغير طاعة لله[3] واتباعًا لأمره، إذا أَحَبَّ أن يُعَظِّم مَنْ سجدنا له، ولو[4] لم يَفرض علينا السجود ألبتة لم يجب فعله[5].

فسجود الملائكة لآدم هو عبادة لله وطاعة له، وقربة[6] يَتقربون بها إليه، وهو لآدم تشريف وتكريم وتعظيم.

وسجود إخوة يوسف له تحية سلام[7]، ألا تَرى أنه لو سجد يوسف لأبويه تحية، لم [يُكْرَه][8] له؟

---

(١) في (ض، ي): (لا يكون).

(٢) في (ض، ي): زيادة: (غيره).

(٣) في (أ): (لسجدنا طاعة له)، والمثبت من (ض، ي).

(٤) في (أ): (لو)، والمثبت من (ض، ي).

(٥) في (ض، ي): (لم يجب ألبتة فعله).

(٦) في (أ): (وقربى)، والمُثبَت من (ض، ط)، وفي (ي): (قربة).

(٧) في (ض، ي): (وسلام).

(٨) في (أ): (يستكبر أو تستكبر)، والمُثبَت من (ض، ط، ي).

ولم يأتِ أن آدم سجد للملائكة، بل لم يؤمر [آدم وكذا بنيه][1] بالسجود إلا لله رب العالمين!

ولعل ذلك ـ والله أعلم بحقائق الأمر ـ أن أشرف الأنواع[2] وهم صالحو بني آدم ـ ليس فوقهم أحد فيَحْسُن[3] السجود له [إلا الله رب العالمين][4]، وهم أكفاء بعضهم لبعض، فليس لبعضهم من المَزِيَّة بقدر ما يَصلح له السجود، ومَن سواهم فقد سَجَد لهم من الملائكة للأب الأقوم، ومن البهائم للابن الأكرم[5].

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ي) ولعل (بنوه) أفضل، وفي (ض): (آدم وبنيه).

(٢) في (ض، ط، ي): (لأنهم أشرف الأنواع) ولعله الصواب.

(٣) في (ض، ي): (يحسن).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ي)، وفي (ض): (إلا لله رب العالمين).

(٥) هو النبي ﷺ.

ودليله: ما أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢٦١٤): عن أنس بن مالك قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنُون عليه، وإن الجمل استصعب عليهم، فمنعهم ظهره.

وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إنه كان لنا جمل نُسْني عليه، وإنه استصعب علينا، ومنعَنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل!!

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا» فقاموا، فدخل الحائط، والجمل في ناحيته، فمشى النبي ﷺ نحوه، فقالت الأنصار: يا رسول الله، إنه قد صار مثل الكَلْب الكَلِب، وإنا نخاف عليك صولته! فقال: «ليس عليَّ منه بأس» فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه، حتى خر ساجدًا بين يديه.

وأما قولهم: لم يَسبق من آدم ما يستوجب الإكرام له [بالسجود][1] فلغو من القول، هَذَى به بعض مَن اعتزل الجماعة! فإنَّ نِعم الله تعالى وأياديه وآلاءه على عباده ـ ليست بسبب منهم، [ولو كان بسبب منهم، فإن السبب منه فهو المُنعِم بها وبشكرها][2].

وهو أيضًا باطل على قاعدتهم، لا حاجة بنا إلى بيانه.

وقوله: ﴿وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾[الأعراف: ٢٠٦] فإنه إن سُلِّم أنه يفيد الحصر، فالقصد منه ـ والله أعلم ـ الفضل بينهم وبين البشر الذين يُشرِكون بربهم ويَعبدون غيره، وأن[3] الملائكة لا تَعبد غيره.

ثم هذا عامّ وتلك الآية خاص[4]، فيُستثنَى آدم.

ثم يقال: السجود على ضربين: سجود عبادة محضة، وسجود تشريف. فأما الأول فلا يكون إلا لله. وأما الثاني فلِمَ قلتَ: إنه كذلك؟ والآية محمولة على الأول توفيقًا بين الدلائل.

وأما السؤال الثاني، فرُوِي عن بعض الأولين أن الملائكة الذين

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ض، ي).

(٢) في (ض، ي): (ولو كانت بسبب منهم؛ فهو المنعم بذلك السبب، فهو المنعم به ويشكرهم على نعمه) مكان ما بين المعقوفين.

(٣) في (ض، ي): (فأخبرهم أن).

(٤) في (ي): الظاهر أنها (خاصة).

سجدوا لآدم ملائكة[1] الأرض فقط، [لا ملائكة السموات][2].

ومنهم مَن يقول: وملائكة السموات دون الكَرُوبيين. وانتحى ذلك بعض الأخِرين، واستكبر[3] سجود الأعلَين[4] من الملائكة لآدم، مع عدم التفاتهم إلى ما سوى الله.

ورَوَوْا في ذلك: «إنَّ مِن خلق الله مَن لا يَدري[5]: أخُلِق آدم أم لا؟»[6].

ونَزَع بقوله: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾[ص: ٧٥] والعالون: هم الملائكة الذين لم يؤمروا بالسجود[7].

واعلم[8] أن هذه المقالة أولًا ليس معها ما يوجب قَبولها، لا مسموع

---

(١) في (ض، ي): زيادة (في).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ي).

(٣) في (ي، ط): (بعض المتأخرين واستنكر) ولعله الصواب.

(٤) في (ض، ي، ط): (الأعليين).

(٥) في (ض، ي، ط): (إن مِن خلق الله خلقاً لا يدرون).

(٦) ذكَره ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٥٧) ونسبه لابن أبي الدنيا، قال [أي ابن كثير]: «وهذا حديث مرسل، وهو منكر جدًّا»، والسيوطي في «الدُّر المنثور» (٧/ ٦٦٣) ونَسَبه لأبي الشيخ.

(٧) في (ض، ي، ط): (والعالون: هم ملائكة السماء، وملائكة السماء لم يؤمروا بالسجود لآدم) ولعلها أفضل.

(٨) في (ض، ي): (فاعلم).

ولا معقوله إلا خواطر وسوانح ووساوس، مادتها من عرش إبليس، يستفزهم بصوته ويعاديهم حديثًا في تَصَغُّر(1) النعمة التي حَرَص على ردها عن أبيهم قديمًا. أو مقالة قد قالها مَن يقول الحق والباطل.

لكن معنا ما يوجب ردها من وجوه(2):

أحدها: أنه خلاف ما عليه العامة من أهل العلم بالكتاب والسُّنة. وإذا كان لا بد من التقليد فتقليدهم أَوْلَى.

وثانيها: أنه خلاف ظاهر الكتاب العزيز، بل وخلاف نصه؛ فإن الاسم المجموع المُعَرَّف بالألِف واللام - يوجب استيعاب الجنس، فقول ربنا: [﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ ﴾[البقرة: 34] ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [الحجر: 30])](3) يقتضي جميع الملائكة. هذا مقتضى اللسان الذي نزل به

---

(1) في (ض، ي): (تصغير).

(2) هنا حاشية في (أ)، وهي: وللقاضي أبي المنذر البَلُّوطي تصنيف حافل في ذلك، ذَكَر فيه أن الملائكة الذين سجدوا لآدم كانوا في الأرض، وكان إبليس منهم، وأن الجنة التي أسكنها آدم في الأرض.

قلت (أحمد): وأبو المنذر هذا كان من كبار العلماء الزهاد، ومن الصالحين الكبار الأخيار، وله كرامات كثيرة.

وقد أشار ابن قيم الجوزية في «مفتاح دار السعادة» إلى شيء من كلامه، وطوَّل فيه، وكلامه يعطي قوة موافقة لمذهب البَلُّوطي وجنوحًا إليه، والله أعلم. وذَكَر أيضًا في أول «حادي الأرواح» شيئًا من ذلك.

(3) ما بين المعقوفين ملفق من (أ، ض، ي).

القرآن، فالعدول عن موجب القول العامّ إلى خصوصه[1] لا بد له من دليل يَصلح له، وهو معدوم.

وثالثها: أنه قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[الحجر: ٣٠].

فلو لم يكن الاسم الأول مقتضيًا للاستيعاب[2] والاستغراق، لكان توكيده بصيغة (كل) موجبة لذلك ومقتضية له[3] ثم لو لم يُفِد ذلك [لأفاده قوله][4]: (أجمعون) توكيدًا وتحقيقًا بعد توكيد وتحقيق.

ومَن نازع في موجب الأسماء العامة، فإنه لا يُنازع فيها بعد توكيدها بما يفيد العموم، بل إنما يجاء بصيغة التوكيد قطعًا لاحتمال الخصوص وأشباهه. وقد بَلَغني عن بعض السلف أنه قال: «ما ابتدع قوم بدعة إلا وفي القرآن ردها[5]، ولكن لا يَعلمون[6].

فلعل قوله: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[الحجر: ٣٠] جيء به لزعم زاعم يقول: (إنما سَجَد له بعض الملائكة، لا كلهم) وكانت هذه الكلمة ردًّا لمقالة هؤلاء.

---

(١) في (ض، ي): (خصوص).

(٢) في (ض، ي): (لا يقتضي الاستيعاب).

(٣) (له) زيادة من (ض، ي، ط).

(٤) في (ض، ي): (الأفادة لكان قوله).

(٥) في (ض، ي): (في القرآن ما يَرُدها).

(٦) لم أقف عليه.

ومَن اختلج في سره وجود[1] الخصوص بعد هذا التحقيق والتوكيد، فليُعَزِّ نفسه في الاستدلال بالقرآن والفَهْم؛ فإنه لن[2] يثق بشيء يؤخذ منه.

يا ليت شِعْري[3]، لو كانت الملائكة كلهم سجودًا[4]، وأراد الله تعالى أن يخبرنا بذلك، فبأي كلمة يأتي أتم وأعم[5]؟! أم أي[6] قول يقال؟!

أليس هذا مِن أبين البيان؟!

ورابعها: أن هذه الكلمة تكررت في القرآن والسُّنة بما يقتضي العموم.

مثـل قولـه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾[البقـرة: ٣٤]. وقولـه: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[الحجر: ٣٠] في مواضع عدة.

وقول النبي ﷺ في حديث الشفاعة: «وأَسْجَدَ لك ملائكتَه»[7].

[وقول الله فيما رُوِي عنه: «وأَسْجَدْتُ لك ملائكتي»[8].

---

(١) في (ط): (وجه)، ولعله الصواب، وفي (ض): تحتمل (وجه) أو (وجد).

(٢) في (ض): (لا).

(٣) أي: يا ليتني أعلم.

(٤) في (ض، ي): (سجدوا).

(٥) (أتم وأعم) زيادة من (ض، ي).

(٦) في (ي): (أم يأتي).

(٧) أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣) لكن بلفظ: «وأمَر الملائكة فسجدوا لك».

(٨) لم أقف عليه.

وقول موسى عليه السلام: «وأَسْجَدَ لك ملائكته»[1]][2].

فمِن[3] الناس مَن يقول: إن القول العامّ إذا أريد[4] به الخاص، وجب أن يُقْرَن به البيان، فلا يَجوز تأخيره عنه لئلا يُوقِع[5] السامعَ في اعتقاد الجهلـة[6] ولم يَقترن بشيء من هذه الكلمات دليلُ تخصيص، فوجب القطع بالعموم.

وقال آخَرون ـ وهو الأصوب ـ: يَجوز تأخير البيان عن وقت الخطـاب، لكن بعد البحث عن دليل التخصيص يجـب[7] القـول بـالعموم، [وإذا كانـت القصة قد أعيدت مرات، وفي كلها ما يوجب العموم، ولـيس في واحـدة منهـا ذكر الخصوص، ولا قيل في واحدة ذِكر الخصوص، ولا قيل في واحـدة منهـا: أَسْجَدْتُ لك بعض ملائكتي، ولا ملائكة أرضي. أفلـيس دعـوى الخصـوص فيها بهتان عريض؟!][8].

---

(1) أخرجه مسلم (٢٦٥٢) ولفظه: «قال موسى: أنت آدم الذي خَلَقَـك الله بيـده، ونَفَخ فيك من رُوحه، وأَسْجَدَ لك ملائكته».

(2) في (ض، ي): (وكذلك في محاجة موسى وآدم).

(3) في (ض، ي): (ومن).

(4) في (ض، ي، ط): (إذا قُرِن).

(5) في (ض، ي): (يقع).

(6) في (ط): (الجهل).

(7) في (ي): (والله أعلم فيجب).

(8) في (ض، ي): (وإذا كانت القصة قد تكررت وليس فيها ما يدل عـلى الخصـوص، فليس دعوى الخصوص فيها من البهتان) مكان ما بين المعقوفين.

وأما استكبارهم سجود[1] الكَروبيين، فليس بشيء؛ لأنهم سجدوا طاعة وعبادة لربهم.

[ثم إنما استكبر[2] هذا بِناء على أنهم أفضل من آدم، وإنما يَثبت أنهم أفضل بأنهم لم يسجدوا، فإثبات أحدهما بالآخَر دَوْر علمي، وهو باطل، والحكايات المُرسَلة لا تقيم حقًّا ولا تَهدم باطلًا][3].

وتفسيرهم ﴿ٱلْعَالِينَ﴾ بالكَروبيين ـ قول في كتاب الله بلا علم، ولا يُعْرَف ذلك عن إمام مُتَّبَع، ولا في اللفظ دليل عليه.

وقيل: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ أطَلَبْتَ أن تكون كبيرًا من هذا الوقت؟ أم[4] كنتَ عاليًا قبل ذلك؟

ولا حاجة لنا إلى[5] تفسير كتاب الله عز وجل بآرائنا، والله أعلم بتفسير تنزيله[6].

وهنا سؤال ثالث، وهو أن المسجود له قد يكون [الساجدون له

---

(١) في (ض، ي): (وأما إنكارهم لسجود).

(٢) لعل (استكبروا) أَوْلَى.

(٣) في (ض، ي): (وزاد قائل ذلك أنهم أفضل من آدم، إذا ثبت أنهم لم يسجدوا، والحكايات المُرسَلة لا تقيم حقًّا ولا تَهدم باطلًا) مكان ما بين المعقوفين.

(٤) في (أ): (أو)، والمثبت من (ض، ي).

(٥) في (أ): (إلا) والمُثبَت من (ي، ط) ولعله الأصوب، لكن في (ض، ي): (بنا إلى).

(٦) في (ي): (بتفسيره) مكان (بتفسير تنزيله).

سجدوا][1] مع فضلهم عليه؛ فإن الفاضل قد يَخدم المفضول. فنقول: اعلم أن منفعة الأعلى للأدنى غير مستنكرة[2] فإن سيد القوم خادمهم، فالنبي ﷺ أفضل الناس وأنفع الناس للناس، لكن اعلم أن منفعته في الحقيقة تعود إليه تقربًا إلى الله تعالى، لكن تمام القربى[3] إلى الله يحصل بنفع خلقه، فهذا يَصلح أن يُورَد على مَن احتَج بتدبيرهم لنا[4].

وأما نفس السجود فلا منفعة فيه للمسجود له، إلا مجرد تعظيم وتشريف وتكريم، ولا يَصلح ألبتة أن يكون مَن هو أفضل أسفل [ممن][5] دونه وتحته في الشرف المُحقَّق لا المُتوهَّم، فافهم هذا فإن تحته سر[6].

الدليل الثاني: قوله تعالى قصصًا عن إبليس: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾[الإسراء: ٦٢]. فإن هذا نص في تكريم آدم على إبليس؛ إذ أُمِر بالسجود له، وهذا يوجب تكريمه على جميع الملائكة الذين سجدوا له، وهو المطلوب.

فلإن[7] قلت: لعله أراد التكريم بعد السجود، حين طُرِد الشيطان

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ي)، وفي (ض): (الساجدون سجدوا له).

(٢) في (أ): (مستنكر)، والمثبت من (ض، ي).

(٣) في (ض، ي): (يعود إليه ثوابها، وتمام التقرب).

(٤) في (ض، ي) زيادة: (فنفضّلهم علينا لكثرة منفعتهم لنا).

(٥) زيادة من (ط).

(٦) هكذا.

(٧) لعل (فإن) أولى.

وَلُعِن، وذلك من خصائص إبليس.

قلت: هذه الآية ليس فيها إلا قصة السجود؛ فإنه قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء: ٦١ - ٦٢].

[ثم نقول: أضاف إبليس التكريم إلى آدم عليه [---][1] إلى الله، وإنما قال هذا بالإسجاد له؛ لوجوه]:

أحدها: أن آدم بعد السجود لم يَحدث له أمن[2] قبل طرد الشيطان ولَعْنه، حتى يكون تكريمًا له. ولو أريد أن لعن عدوه إكرامًا[3] له لقيل: هذا الذي أهنتني له.

وثانيها: أن طرد الشيطان ليس من حيث هو طرد له تكريمًا لآدم خاصة؛ فإن الملائكة أيضًا تُركوا في النعمة، وإنما سُلِبَها إبليس خاصة.

وثالثها: أنه سَمَّى ذلك كرامة، والكرامة إنما تأتي[4] بها الكريم، والكريم الذي يَفعل بلا عِوض، بل يسعه كرمه.

فدل ذلك على أن التكريم كان ابتداء لا بسبب تلك الوجوه، ألا ترى

(١) الظاهر في (أ) أنه يوجد سقط هنا، وأشار الناسخ بـ [كذا] وهذه علامة على أنه وجده هكذا.

(٢) هكذا.

(٣) هكذا.

(٤) لعل الصواب: (يأتي).

أنه قال بعد هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[الإسراء: ٧٠]. ولو لم يكن ذلك بسبب منهم؟

فإن قلتَ: [لو كان][1] قوله: (كَرَّمْتَ) هو موجبًا لتفضيل آدم، لكان قوله: ﴿كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[الإسراء: ٧٠] موجبًا لتفضيلهم جميعهم. وهذا لا يقال.

قلت: هنا قيل: (كَرَّمْتَ عليَّ) فاجعل[2] الكرامة عليه، وهنالك لم يقل: (عليَّ) من[3]، وإنما هي كرامة مطلقة.

الدليل الثالث: أنَّ الله خَلَقَ آدم بيده، كما قَصَّ سبحانه ذلك بقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥] وكما تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ، أن الله خَلَقَ آدم بيده[4] وفي «الصحيحين» عن أبي موسى، عنه ﷺ قال: «إن الله خَلَقَ آدم من قبضة قَبَضَها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر ذلك، فمنهم الأسود والأحمر، والخبيث والطيب، والسهل والحَزْن»[5].

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من عندي.

(٢) لعل الأصوب: (فجَعَل).

(٣) هكذا في (أ).

(٤) منها: حديث الشفاعة الذي أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٣٤٠، ٤٤٧٠)، ومسلم (٣٢٢ ـ ١٩٣) عند ذَهابهم إلى نبي الله آدم عليه السلام، فيقولون له: «يا آدم، أنت أبو البشر، خَلَقَك الله بيده، ونَفَخ فيك من رُوحه...».

(٥) لم أقف عليه في «الصحيحين».

وأخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٥٨٢)، وأبو داود في «سُننه» (٤٦٩٣)، والترمذي في «سُننه» (٢٩٥٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

والملائكة لم يخلقهم بيده بل بكلمته؛ لوجوه:

أحدها: أن الله تعالى خص آدم بذلك، ولو شَرَكه غيره في ذلك لم يكن ذلك موجبًا لتميزه بقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وثانيها: الحديث المشهور: «إن الله خَلَقَ آدم بيده، وخَطَّ التوراة بيده، وغَرَس جنة عدن بيده»[1]. وفي بعض الطرق: «لم يَخلق بيده إلا ثلاثًا...»[2].

وثالثها: حديث زيد بن أسلم الماضي، حيث أَخْبَرَ عن الله تعالى أنه قال:

= والحديث جاء من طريق عوف بن أبي جَميلة، عن قَسَامة بن زهير، عن أبي موسى، مرفوعًا. وهو حسن إن شاء الله.

(١) أخرجه هَنَّاد في «الزهد» (٤٤)، ومن طريقه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (١٢٢٣) لكنه مقطوع، والسند إليه فيه كلام. وجاء بلفظ: «خَلَقَ الله عز وجل بيده أربعة: خَلَقَ آدم بيده، وكَتَبَ التوراة بيده، وغَرَس جنة عدن بيده». وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٢٥) من كلام قتادة، لكنه من طريق مَعْمَر عنه، وفيه ضعف.

(٢) لم أقف على هذا اللفظ مرفوعًا، لكن عن كعب الأحبار، أخرجه الدارمي في «نقضه على بِشر المَريسي» (١/ ٢٦٥)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ١٧). وجاء بلفظ: «إن الله عز وجل لم يمس بيده شيئًا إلا ثلاثًا...» أخرجه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» برقم (٥٧٣) وغيره، لكنه من كلام عكرمة. وجاء بلفظ: «لم يَخلق الله شيئًا بيده غير أربعة أشياء: خَلَقَ آدم بيده، وكَتَبَ الألواح بيده، والتوراة بيده، وغَرَس عدنًا بيده» أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٧) لكن من طريق ابن حُمَيد، وهو ضعيف.

«وعزتي لا أجعل صالح ذرية مَن خَلَقْتُ بيدي - كمَن قلتُ له: كُنْ فكان».

ورابعها: أن هذا من العلم العامّ أن الله تعالى خَلَق آدم بيده دون الملائكة.

فهذه مقدمة، والمقدمة الثانية: أن مَن خَلَقه بيديه أفضل ممن خَلَقه بكلمته. واعلم أن هذا يقوله جميع مَن يَدَّعِي الإسلام، سُنيهم ومبتدعهم، بل وعامة أهل الكتاب.

فإن الناس في يدي[1] الله على ثلاثة أقوال:

أما أهل السُّنة فيقولون: يدا[2] الله صفتان من صفات ذاته، حكمهما[3] حُكم جميع صفاته، مِن حياته وعِلمه وقدرته وإرادته وكلامه.

فيُثبِتون جميع صفاته التي وَصَف بها نفسه أو وَصَفه[4] بها أنبياؤه، وإن شاركتْ أسماءُ صفاته أسماءَ صفات غيره.

كما أن له أسماء قد يُسَمَّى بها غيره، مثل: رءوف، رحيم، عليم، سميع، بصير، حليم، صبور، شكور، قدير، مؤمن، مهيمن، عليٌّ، عظيم، كبير. مع نفي المشابهة في الحقيقة والمماثلة [في الهُوية[5]] كما في قوله: ﴿لَيْسَ

---

(١) في (ض، ي): (يد).

(٢) في (أ): (يد)، والمثبت من (ض، ي).

(٣) في (أ،ي): (حكمها)، والمثبت من (ض).

(٤) في (ض، ي): (ووصفه) مكان (أو وصفه).

(٥) هكذا في (أ)، وهذا الموضع سقط من (ض، ي).

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] فجَمَعَتِ[1] الآية بين الإثبات والتنزيه، ونسبةُ صفاته إليه كنسبة صفات خَلْقه إليهم[2] والنسبة والإضافة تُشابِه النسبة والإضافة.

ومِن هذا الوجه جاء الاشتراك في أسمائه وأسماء صفاته، كما شُبِّهَتْ رؤيته[3] برؤية الشمس والقمر تشبيهًا للرؤية لا للمرئي[4] وكما ضَرَب مَثَله مع عباده المملوكين كمَثَل بعض خلقه مع مملوكيهم، سبحانه وبحمده، وله المَثَل الأعلى في السموات والأرض.

فتَدَبَّرْ هذا فإنه مجلاةُ شُبَه ومِصفاةُ كَدَر!! فجميع ما تسمعه يُنسَب[5] إليه ويضاف من الأسماء والأوصاف[6] كما يليق (بالله)[7] سبحانه ويَصلح لذاته.

---

(١) في (ض، ي): (جمعت هذه).

(٢) في (ض، ط، ي): (ونسبة صفاته إليه كنسبة خلقه إليه).

(٣) في (ض): (الرؤية).

(٤) ودليله: ما جاء في البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٢١١ ـ (٦٣٣)): عن جرير بن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة ـ يعني البدر ـ فقال: «إنكم ستَرون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تُضَامون في رؤيته».

(٥) في (ض، ي): (ويُنْسَب).

(٦) في (ض، ي): (والصفات)، وبعدها زيادة (هو).

(٧) زدتها من (ض، ط، ي) لأن السياق يقتضيها.

والفريقان الآخَران: أهل التشبيه والتمثيل، ممن يقـول: (يـدٌ كيَـدِي) تعالى الله عن ذلك.

وأهل النفي والتعطيل مما[1] يقول[2]: اليدان هما النعمتان والقـدرتان. والله أكبر كبيرًا.

وبكل[3] حال، اتَّفَق هؤلاء كلهم على أن لآدم فضيلة ومِيزة[4] ليست لغيره؛ إذ خَلَقه بيديه[5].

الوجه الثاني: أن الله تعالى احتَج على إبليس بذلك في فضـل آدم ـ بقولـه تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] فلو كان لغـيره في ذلـك مِثل ما له، لم يكن له فضل بذلك لم[6] يَذكر خلقه بيديه.

الوجه الثالث: أن ذلك معدود في النِّعم العِظام التي أَنْعَم الله بها عـلى آدم حين قال له موسى: «خَلَقَك الله بيده، وأَسْجَد لك ملائكته»[7].

---

(١) لعل (ممن) أفضل، وسقطت من (ض، ي).

(٢) في (ي): (يقولان) وتحتمل (يقولون)، وفي (ض): (يقولون).

(٣) في (أ): (فبكل)، والمثبت من (ض، ي).

(٤) في (ض، ي): (ومزية).

(٥) في (ض، ي): (بيده).

(٦) لعل (ولم) أولى.

(٧) أخرجه مسلم (١٥ ـ (٢٦٥٢)).

وحين يقال له يوم القيامة: «أنت أبونا الذي خلقك الله بيده، وأ[...]

لك ملائكته»[1].

وإنما ذُكِر في ذلك[2] النعم التي خُصَّ بها[3] من بين المخلوقات[4] [...]

الذي شورك فيها.

فهذا بيان واضح [أن له بذلك فضلًا][5] على سائر الخلق. ورابع[...]

أن هذه الدلالة هي الدلالة التي رواها زيد بن أسلم، عن[6] الله تعالى، [...]

قال للملائكة[7]: «وعزتي لا أجعل صالح ذرية مَن خَلَقْتُ[8] بيدي -كـ[...]

قلتُ له: كن فكان». وناهيك بهذا شرفًا.

الدليل الرابع: ما احتَجَّ به بعض أصحابنا وغيرهم [على تفض[...]

---

(١) نفس الحديث السابق. ولفظة (أبونا) وردت في مسلم أيضًا في أحد طرق الحديث برقم (١٣ _ ٢٦٥٢).

(٢) لعل (تلك) أولى.

(٣) في (ض، ي): (وإنما ذكروا ذلك له في النعم التي خصه الله تعالى بها).

(٤) في (ض، ي): (المخلوقين).

(٥) في (ض، ي): (دليل على فضله) مكان ما بين المعقوفين.

(٦) في (ض، ي): (أن).

(٧) في (ي): (للملائكة).

(٨) في (ي): (خلقته).

...على الملائكة](1) وهو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: 33] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان: 32] واسم (العالَمين) يتناول الملائكة والإنس والجن.

وفيه نظر؛ لأن اسم(2) (العَالَمين) قد يراد به جميع أصناف الخَلْق؛ كما في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2].

وقد يراد به الآدميون فقط على اختلاف أصنافهم؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: 165] ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 80].

فإنهم(3) كانوا لا يأتون ذُكران البهائم والجن(4).

وقد يراد بـ(العالَمين)(5) أهل زمن واحد؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان: 32].

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى

---

(1) ما بين المعقوفين زيادة من (ض، ي، ط).

(2) في (ض، ي): (أصناف).

(3) في (ض، ي): (وهم).

(4) في (ض، ي): (ولا الجن).

(5) (بالعالَمين) زيادة من (ض، ي).

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران: ٣٣] يحتمل جميع أصناف[1] الخلق[2]، ويحتمل أصناف الناس[3] والله أعلم.

وللمحتج بها أن يقول: اسم (العالَمِين) اسم عامّ لجميع أصناف المخلوقات التي بها يَعلم الله[4] وهي آيات له ودلالات عليه، لا سيما أولو العلم منهم، مثل الملائكة، فيجب إجراء الاسم على عمومه، إلا إذا قام دليل يوجب خصوصه[5]. وفي تلك المواضع فلم[6] يُخَصَّص، بخلاف ما نحن فيه.

وقد احتجّ أيضًا بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾[الإسراء: ٧٠] الآية -على تفضيلهم على الملائكة.

وهذا ضعيف جدًّا[7] بل هو بالضد كما قررناه، وهو بَيِّن جدًّا. الدليل الخامس- قوله: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة: ٣٠] الآية.

---

(١) في (ي): كتبها (أنواع) ثم صححها (أصناف).

(٢) في (ي): كتبها (الخلق)، وأشار في الهامش وكأنها من نسخة (المخلوقات)، وبجوارها وعليها علامة التصحيح (بل الخلق هو [الأصل]).

(٣) في (ض، ي): (ويحتمل أن يكون المراد بني آدم فقط)، لكن في (ض) سقطت (يكون).

(٤) في (أ) هنا زيادة: (بها) ولعلها زيادة من الناسخ بدون قصد.

(٥) في (ض، ي): (الخصوص).

(٦) لعل (لم) أَوْلَى.

(٧) في (ض، ي): (وهو دليل ضعيف)، مكان (وهذا ضعيف جدًّا).

وهي دلالة على تفضيل الخليفة من وجهين:

أحدهما: ذَكَره القاضي أبو يعلى، أن الخليفة يُفَضَّل على مَن هو خليفة عليه، وقد كان في الأرض ملائكة، فيجب أن يكون هو أفضل منهم.

وفيه نظر، وغايته أن يُفَضَّل على مَن في الأرض من الملائكة. وثانيها: أن الملائكة طَلَبَتْ من الله أن يكون الاستخلاف فيهم والخليفة منهم، إذ قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٣٠]. فلولا أن الخلافة درجة عالية أعلى من درجاتهم[١]، لما أغبطوا[٢] صاحبها وأحبوا منزلته.

الدليل السابع[٣]: تفضيل آدم[٤] عليهم بالعلم حين سألهم الله عز وجل عن علم الأسماء، ولم[٥] يجيبوه، واعترفوا أنهم[٦] لا يُحسنونها[٧]، وأنبأهم آدم بها[٨]، وقد قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٩].

---

(١) لعل (درجتهم) أولى.

(٢) في (ض، ي): (لما طلبوها وغبطوا) مكان (لما أغبطوا).

(٣) هكذا.

(٤) في (ض، ي): (بني آدم).

(٥) في (ض، ي): (فلم).

(٦) لعل (بأنهم) أولى.

(٧) في (ي): (لا يحسنوها).

(٨) في (ض، ي): (فأنبهم آدم بذلك).

الدليل الثامن - وهو أول[1] الأحاديث - : ما رواه حماد بن سَلَمة، عن أبي المُهَزِّم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَزوالُ الدنيا على الله أهون مِن قتل رجل مؤمن، والمؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده»[2].

وهذا نص في أن المؤمنين أكرم على الله من الملائكة المقربين.

الدليل التاسع: ما رواه أبو محمد الخَلَّال، ثنا ابن شاهين، ثنا خَيْثَمة، ثنا أحمد بن محمد بن أبي الخناجر، ثنا محمد بن مصعب، ثنا حماد [بن سلمة[3]] عن أبي هريرة قال: خَطَبَنَا رسول الله ﷺ... وذَكَر الكلام إلى أن قال[4]: «ادنوا وأوْسِعوا[5] لَمن خَلْفَكم».

---

(١) في (ض، ي): (أولى) ولعلها أولى.

(٢) إسناده ضعيف: الحديث هكذا بتمامه أخرجه تمّام في «فوائده» (١٠٥٦)، وفيه (أبو المُهَزِّم) وهو ضعيف، قال فيه الحافظ ابن حجر: «متروك».

(٣) في (أ) [illegible] . والظاهر أنها (حماد بن سلمة) فمحمد بن مصعب القُرْقُساني من الرواة عنه.

لكن هذا السند لا يصح، والعلة فيه (محمد بن مصعب) قال فيه أحمد بن حنبل بخصوص روايته عن حماد بن سلمة: (أما عن حماد بن سلمة، ففيه تخليط) ولعل هذا الحديث من تخليطه. وقال أبو زُرْعة فيه: (صدوق في الحديث، ولكنه حَدَّث بأحاديث منكرة.. رَاجِع «تهذيب التهذيب» (٩/ ٤٥٨).

(٤) في (ض، ي): (وذكر كلامًا، قال في آخره).

(٥) في (ض، ي): (ووسعوا).

فدنا الناس، وانضم بعضهم إلى بعض، والتفتوا خلفهم ثلاث مرات، فقام[1] رجل من القوم فقال: بأبي [أنت][2] وأمي يا رسول الله، لَمن تُوَسِّع: للملائكة أو للناس؟

قال: «نعم، للملائكة، إنهم إذا كانوا معكم لم يكونوا من بين أيديكم ولا من خلفكم، ولكن يكونون[3] عن أيمانكم وشمائلكم».

قالوا: يا رسول الله، ولِمَ لا يكونوا مِن بين أيدينا ومِن خلفنا؟! مِن فضلنا عليهم أم مِن فضلهم علينا؟[4] قال: «نَعم، أنتم أفضل من الملائكة» [ثم قال: «اجلس» وذَكَر الخبر[5].

وهذا الخبر نص قاطع، لكن لا أعرف حاله من جهة الإسناد والاستدلال به، وقف على استبنانة[6] حاله][7].

---

(١) في (ض، ي): (فقال).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من عندي.

(٣) في (أ): (يكونوا)، ولعل ما أثبتُّه أَوْلَى، وسقط هذا الموضع من (ض، ي).

(٤) في (ض، ي): (أمن فضلنا عليهم، أو من فضلهم علينا).

(٥) جاء هذا الحديث في «بُغية الحارث عن زوائد مسند الحارث» برقم (٢٠٥) لكن بسند مختلف عن هنا، وسياق أطول من هنا.

وفيه (ميسرة بن عبد ربه) متهم بالكذب. وفيه أيضًا (داود بن المُحَبَّر) وهو متروك.

(٦) لعلها (استبانة).

(٧) في (ي): (رواه الخَلَّال، وفيه القطع بفضل البشر على الملائكة، لكن لا يُعْرَف حال إسناده؛ فهو موقوف على صحة إسناده) مكان ما بين المعقوفين.

الدليل العاشر: ما خَرَّجه عبد الله بن أحمد في كتاب «السُّنة».

وقد أنبأنا به أبو زكريا يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح، الفقيه الحَرَّاني[1] سماعًا أو إجازة، أن الحافظ أبا محمد عبد القادر بن عبد الله الرَّهَاوي - أخبرهم سماعًا قال: أبنا محمد بن أبي نصر القاشاني الأصبهاني، أنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك، الأديب الخَلَّال، أنبأناه أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي، عن أبي زُرْعَة عبد الله بن محمد بن نصر القنواني، أن أبا عبد الله الحسين بن عبد الملك أخبرهم، أنا أبو المُظَفَّر عبد الله ابن شَبيب، أنا أبو عمر عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب السُّلَمي، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمر بن أبان العبدي، ثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا الهيثم بن خارجة، ثنا عثمان بن علاف - وهو عثمان بن حُصَين بن علاف - قال سَمِعْتُ عروة بن رُوَيْم يقول:

أَخْبَرَني الأنصاري عن النبي ﷺ: «أن الملائكة قالوا: رَبَّنا خلقتنا

---

(١) هو الإمام ابن الصيرفي، جمال الدين أبو زكريا يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح بن رافع، الحَرَّاني الحنبلي.

وقد ذَكَره الحافظ ابن عبد الهادي في شيوخ الإمام ابن تيمية، في كتابه «العقود الدُّرية» (ص٦) ط/ عالم الفوائد، قال: ثم سَمِع شيخنا - أي: ابن تيمية - مِن.... ثم ذَكَر عدة شيوخ، إلى أن ذَكَر - ومن الجمال يحيى بن الصيرفي - وهو المذكور سابقًا، رحمه الله.

ولعل هذا قرينة تُقَوِّي أن هذه الرسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وخلقتَ بني آدم، فجعلتَهم يأكلون الطعام، ويَشربون الشراب، ويَلبسون الثياب، ويأتون النساء، ويَركبون الدواب، وينامون ويستريحون، ولم تَجعل لنا شيئًا مِن ذلك، فاجعل لهم الدنيا واجعل لنا الآخرة.

[فقال الله عز وجل: لا. فأعادوا القول ثلاث مرات، كل ذلك يقول: لا أجعل صالح ذرية مَن خَلقتُ بيدي ونَفختُ فيه من رُوحي ـ كمَن قلت له: كن فكان»(١).

وقد أسلفتُ مثل ذلك عن حكاية زيد بن أسلم عن الله تعالى](٢)، وزَيْد زِيد في علمه وفقهه وحِلمه وورعه وفضله البيِّن، حتى إنْ كان علي بن الحسين، أو ابنه أبو جعفر ـ لَيَدَع مجالس قومه ويأتي إلى مجلسه، [فيقال له في ذلك، ويقال له: أتأتي مجلس مَوْلًى، وتَدَع العرب؟! فيقول: إنما يجلس الرجل حيث يجد صلاح قلبه](٣)(٤).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في (ض، ي): (وذكر الحديث مرفوعًا كما تقدم موقوفًا عن زيد بن أسلم عن أبيه) مكان ما بين المعقوفين.

(٣) في (ي): (فلامه الزُّهْري في ذلك، فقال: إنما يجلس حيث يَنتفع. أو قال: يجد صلاح قلبه) مكان ما بين المعقوفين.

(٤) الذي كان يجالسه هو الإمام علي بن الحسين.

أخرج البخاري في «تاريخه الكبير» (٣/ ٣٨٧): عن محمد بن عبد الرحمن القرشي قال: كان علي بن حسين يجلس إلى زيد بن أسلم، ويتخطى مجالس قومه، فقال له نافع بن جُبَيْر بن مُطْعِم: تَخطَّى مجالس قومك إلى عبد عمر بن =

وقد كان يَحضر في مجلسه نحو أربعمِائة طالب للعلم، أدنى خَصلة فيهم الباذل الباذل ما في يده من الدنيا[1]، وأن لا يَستأثر بعضهم على بعض، فلا يقول مثل ذلك عن الله[2] إلا عن أمر بَيِّن، والكذب على الله أعظم وأكبر من الكذب على رسوله.

فهذا الحديث مع هذا الأثر مِن أبْيَن ما يكون، بل هو ترجمة المسألة، وقد أسلفتُ أثرًا آخَر عن عبد الله بن سَلَام.

واعلم أن أقل ما في هذه الأحاديث أن السلف الأولين كانوا يتناقلون بينهم أن صالحي بني آدم[3] أفضل من الملائكة، من غير نكير منهم لذلك، ولم نجد عن أحد ما يخالف[4]، وإنما وجدنا[5] الخلاف بعد تشتت الأهواء[6] وتَفَرُّق الآراء، فقد كان ذلك كالمُستقِر عندهم المُتداوَل؛ كاستقرار فضل أمتنا على جميع الأمم، ونَبيِّنا على جميع الأنبياء، وقَرْنِه على سائر القرون... وغير ذلك من الأمور العِلمية.

= الخطاب؟! فقال: إنما يجلس الرجل إلى مَن ينفعه في دينه.

(١) في (أ): (الباذل لِما في أيديهم)، والمثبت من (ض، ي).

(٢) في (ض، ي): (هذا القول) مكان (مِثل ذلك عن الله).

(٣) في (ض، ي): (البشر).

(٤) في (ض، ي): (ولم يخالف أحد في ذلك).

(٥) في (ي): (إنما ظهر).

(٦) في (ض، ي): زيادة (بأهلها).

الدليل الحادي عشر: أحاديث المباهاة، مِثل: «أن الله تعالى يَنزل عشية عرفة إلى [سماء الدنيا][1] فيباهي ملائكته بالحاج»[2][3]. وكذلك الحديث الآخَر [يباهي بهم المصلين، يقول][4]: «انظروا إلى عبادي، قد قَضَوْا فريضة، وهم ينتظرون أخرى»[5].

وكلا الحديثين في «صحيح مسلم» والمباهاة لا تكون إلا بالأفضل.

---

(1) في (أ): (سماء)، والمُثْبَت من (ط).

(2) في (ض، ي): (أن الله تعالى يَنزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وعشية عرفة، فيباهي ملائكته بالحاج).

(3) أخرجه مسلم (١٣٤٨) بلفظ: «ما من يوم أكثر من أن يُعْتِق الله فيه عبدًا من النار ـ من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟».

(4) ما بين المعقوفين زيادة من (ض، ي)، لكن سقطت لفظة (الحديث الآخَر).

(5) لم أقف عليه في «صحيح مسلم».

وهذا الحديث أخرجه أحمد في «مسنده» (٦٧٥٠)، وابن ماجه (٨٠١) من رواية حماد بن سلمة عن ثابت البُنَاني.

وأخرجه أحمد في «مسنده» (٦٧٥١)، والبزار في «مسنده» (٢٣٦٥) من رواية حماد بن سلمة عن علي زيد ـ وهو ضعيف ـ عن مُطَرِّف بن الشِّخِّير.

وأخرجه أحمد في «مسنده» (٦٨٦٠) من طريق بَهْز، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن رجل من الشام. والظاهر أن الحديث صحيح.

وذَكَروا أن جبريل سأل النبي ﷺ أن يجعله من أهل البيت، في حديث الكِساء[1].

وذَكَروا أن جبريل وميكائيل وزيراه من أهل السماء، وأبا بكر وعمر وزيراه من أهل الأرض[2].

إلا أن هذه الأحاديث لم يحضرني إسنادها، فإنْ ثَبَتَتْ ففيها دلالة على المطلوب؛ فإن ذا الوزير أفضل من الوزير، كيف وهو أفضل من أبي بكر وعمر؟!

فإن قيل: هذه أخبار رواها آحاد من الناس[3]، وليست بتلك الشهرة فلا توجب علمًا، والمسألة علمية.

قلنا: أولًا ـ مَن قال: إن المطلوب في هذه القضية اليقينُ الذي لا يمكن نقيضه؟! بل يكفي فيها الظن الغالب، وهو حاصل.

ثم ما المراد بقوله: (علمية)؟

---

(١) قال السيوطي في كتابه «الحبائك في أخبار الملائك» [في حاشية(٩٧): (ص٢٤٥) ط/ دار الكتب العلمية: لم أقف له على أصل في شيء من كتب الحديث.

(٢) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٥٢)، والترمذي في «سننه» (٣٦٨٠)، والبزار في «مسنده» (٤٩١٩)، والآجُرّي في «الشريعة» (١٣٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٤٦، ٣٠٤٧)، وغيرهم.

والحديث حَكَم عليه الشيخ الألباني بالوضع في «الضعيفة» (٣٠٥٦).

(٣) في (ض، ي): (غير مشهورين).

أريد[1] أنه لا عِلم فيها؟ فهذا مُسَلَّم، ولكن كل عقل راجح يستند في دليل فإنه عِلم، وإن كان فِرقة من الناس لا يُسَمُّون عِلمًا إلا ما كان يقينًا لا يقبل الانتقاض، وقد قال تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠] وقد استوفي القول في ذلك في غير هذا الموضع.

وإن أريد بها (علمية): أن المطلوب فيها الاستيقان، فهذا لغو من القول لا دليل عليه، ولو كان هذا حقًّا لوجب الإمساك عن الكلام في كل أمر غير علمي إلا باليقين، وهو تهافُت بَيِّن.

ثم نقول: هي بمجموعها وانضمام بعضها إلى بعض ومجيئها من طرق متباينة ـ قد توجب اليقين لأُولِي الخبرة في علم[2] الإسناد وذوي البصيرة بمعرفة الحديث ورجاله؛ فإن هذا عِلم اختصوا به كما اختص كل قوم بعلمه، وليس من لوازم حصول العلم لهم حصوله لغيرهم، إلا أن يَعلموا ما عَلِموا مما به يُميِّزون بين صحيح الحديث وضعيفه.

والعلوم على اختلاف أصنافها وتباين أسبابها ـ لا يجب[3] اشتراك العقلاء فيها، لا سيما السمعيات الخبريات.

وإنْ زَعَمَتْ[4] فِرقة من أُولي الجدل أن الضروريات يجب الاشتراك

---

(١) في (ض، ي): (أتريد).

(٢) في (ي): (بعلم) مكان (في علم).

(٣) في (ض): (وتباين صفاتها، لا توجب). وفي (ي): (وتباين أصنافها، لا توجب).

(٤) في (أ، ض،ي): (زعم)، ولعل ما أثبتُّه أولى.

فيها، فإن هذا حق في بعض الضروريات لا في جميعها، مع تجويزنا عدم الاشتراك في شيء من الضروريات، لكن جَرَتْ سُنة الله بوقوع الاشتراك في بعضها[1].

فغَلِط أقوام زعموا[2] وجوب الاشتراك في جميعها، فجحدوا كثيرًا من العلم الذي اختُص به غيرهم.

ثم نقول: لو فَرَضْنَا أنها لا تفيد إلا[3] ظنًّا غالبًا، وأن المطلوب إنما هو الاستيقان. فنقول: المطلوب حاصل بغير هذه الأحاديث، وإنما هي مُؤكِّدة مُؤيِّدة؛ لتجتمع أجناس الأدلة على هذه المقالة.

الدليل الثاني عشر: أن نقول: قد كان السلف الأولون يُحدِّثون الأحاديث[4] المتضمنة فضل صالحي البشر على الملائكة، ويأخذهم[5] آخرون عن أوليهم، ومِن شأن الأحاديث أن تُشاع وتُذاع، وتُرْوَى على رءوس الناس في المساجد الجامعة والمجالس النافعة، فلو كان هذا مُنْكَرًا مِن القول لوجب رده على مَن جاء به ورَجعه من حيث جاء، فإذا لم يفعلوا ذلك دل على اعتقادهم ذلك وتصديقهم به.

---

(١) في (ض): (لكن جرت سُنة الاشتراك بوقوع الاستراك في بعضها).

(٢) في (ض، ي): (فجعلوا).

(٣) في (ض، ي): (لا تفيد العلم، وإنما تفيد).

(٤) لعل الأَوْلى: (بالأحاديث).

(٥) لعل (ويأخذها) أولى.

وهذا إن لم يُفِد اليقين القاطع، فإن بعض الظن لم يَقصُر عن القوي الغالب، وربما اختلف ذلك باختلاف الناس واختلاف أحوالهم.

الدليل الثالث عشر: ـ وهو البحث الكاشف عن حقيقة المسألة ـ وهو أن نقول: التفضيل إذا وقع بين شيئين فلا بد من معرفة الفضيلة ما هي؟ ثم يُنظر أيهما أَوْلَى بها؟

وأيضًا: فإنا إنما تكلمنا في تفضيل صالحي البشر إذا كَمُلوا ووصلوا إلى غايتهم وأقصى نهايتهم، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزُّلْفَى، وسكنوا[1] الدرجات العُلى، وحَبَاهم الرحمن بمزيد قُرْبِه، وتَجَلَّى لهم؛ ليتمتعوا[2] بالنظر إلى وجهه الكريم [وقامت الملائكة في خدمتهم بإذن ربهم][3].

فليَنظر الباحث في هذا الأمر؛ فإنَّ أكثر الغالطين إذا نظروا في الصنفين رأوا المَلَك بعين التمام والكمال، ونظروا [إلى][4] الآدمي وهو بَعْدُ في هذه الحياة الخسيسة الكدرة، التي لا تَزِن عند الله جَناح بعوضة، وليس هذا بالإنصاف!

فأقول: فَضْل أحد الذاتين على الأخرى إنما هو بقربها من الله تعالى، ومِن مزيد اصطفائه وفَضْلِ اجتبائه لنا[5]، وإن كنا نحن الآن لا ندرك حقيقة ذلك.

---

(1) في (ي): (وسكون).

(2) في (ي): (ليستمتعوا)، وفي (ض): (يستمتعون).

(3) ما بين المعقوفين زيادة من (ض، ي).

(4) (إلى) زدتها من عندي، والسياق يقتضيها.

(5) هكذا في (أ، ض، ي)، ولعل الأصح (لها).

هذا على سبيل الإجمال وعلى حَسَب التفصيل بالأمور التي هي في أنفسها خير[1] محض وكمال صِرْف؛ مثل الحياة والعِلم والقدرة، والطِّيب والطهارة، والقدس والبراءة من النقائص والعيوب.

فنتكلم على الفصلين[2]:

(أما الأول: فإن جنة عدن خَلَقها الله تعالى وغَرَسها بيده، ولم يُطْلِع على ما فيها مَلَكًا مُقَرَّبًا ولا نبيًّا مُرسَلًا، وقال لها: «تكلمي. فقالت: قد أفلح المؤمنون[3]»[4] ....

---

(١) في (ط): (نفسها خير)، وفي (ض): (نفسها خير).

(٢) في (ض، ي): (الفضلين) ولعلها أَوْلى.

(٣) في (أ): (المؤمنين)، والمُثْبَت من (ض،ي).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٨٧) من كلام عبد الله بن الحارث الزُّبَيْدي، المعروف بـ (المُكَتِّب)، وهو من التابعين، وثقه ابن مَعين وغيره، ورَوَى له مسلم في «صحيحه»، والسند صحيح إليه.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٧)، والآجُرِّي في «الشريعة» (٧٥٩)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢١٣) لكن من كلام كعب الأحبار. وقال البيهقي: وروينا عن أنس وعبد الله بن الحارث، عن النبي ﷺ.

أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٣٩)، و«الأوسط» (٧٣٨) عن ابن عباس، لكن تَفَرَّدَ بالسند بقية، والظاهر أنه دلسه، وهو مشهور بتدليس التسوية.

وأخرجه الطبراني مرفوعًا في «الأوسط» (٣٧٠١) لكن في السند (عَدِيّ بن الفضل) وهو متروك.

=

...ثبتت في أحاديث عدة[1]، وأنه يَنظر إليها في كل سَحَر[2]، وهي داره، ...كرامة الله لعباده المؤمنين، التي لم يُطْلِع عليها أحدًا من الملائكة.

ومعلوم أن الأَعْلَين مُطَّلِعون على الأسفلِين، من غير عكس، ولا يقال ... هذا في حق المرسلين؛ فإنها إنما بُنِيَتْ للمرسلين[3]، لكن لم يَبلغوا بعدُ ...[4] سُكناها، وإنما هي مُعَدَّة لهم؛ فإنهم ذاهبون إلى كمال ومنتقلون[5] إلى ... وارتفاع، وهو جزاؤهم وثوابهم.

أما الملائكة، فإن حالهم اليوم شبيه[6] بحالهم بعد ذلك؛ فإن ثوابهم ...تواصل[7]، وليست الجنان مخلوقة لهم.

= وأخرجه مرفوعًا الطبراني في «الأوسط» (٥٥١٨) وذَكَر الطبراني أنه تَفَرَّد به (حماد ابن عيسى العَبْسي) والظاهر أنه مجهول.

فالظاهر أن هذا الأثر لا يصح مرفوعًا فيما وقفتُ عليه.

[1] في (ض): (عديدة).

[2] أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٧)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٧٧٩)، وابن بطة في «الإبانة» (٢٣٤) من كلام مجاهد رحمه الله.

[3] في (ض، ي): (لهم).

[4] في (ض، ط): (إبان).

[5] في (ي): (ومنقلبون).

[6] في (ي): (شبيهة)، وفي (ض): (شبهة).

[7] في (ض، ي): (متصل).

ومما يؤيد[1] هذا قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

فحقيقة ما أَعَدَّ الله سبحانه لأوليائه المؤمنين غَيْب عن ملائكته، كيف لا وقد غُيِّب عنهم أولًا[2] حالُ آدم في النشأة الأولى، وغير ذلك من الأمور؟

وأيضًا: فإِنَّ فَضْل عباد الله الصالحين تَبَيَّنَ[3] بفضل الواحد من نوعهم؛ فإن الواحد من نوعهم إذا ثَبَتَ فضله على جميع الأعيان والأشخاص، ثَبَتَ فضل نوعهم على جميع الأنواع؛ إذ من الممتنع ارتفاع شخص من أشخاص النوع المفضول إلى أن يَفوق جميع أشخاص الأنواع الفاضلة[4]! فإن هذا تبديل الحقائق وقَلْب الأعيان عن صفاتها النفسية؛ لكن ربما فاق بعض أشخاص النوع الفاضل مع امتياز ذلك عليه بفضل نوعه وحقيقته؛ كما أن في بعض الحَمير ما هو خير من بعض الخيل، [أما أن يكون خيرًا مِن جميع الخيل فلا][5].

إذا تَبَيَّنَ هذا، فقد حَدَّث العلماء المَرْضيون والأئمة المقبولون - أن محمدًا ﷺ يُجلسه ربه معه على العرش معه.

---

(١) في (ض، ي): (وتصديق) مكان (ومما يؤيد).

(٢) (أولًا) زيادة من: (ض، ي).

(٣) في (ي): (يتبين)، وفي (ض) محتملة لكليهما.

(٤) في (ض، ي): (الأشخاص والأنواع الفاضلة).

(٥) في (ض، ي): (ولا يكون خيرًا من جميع الخيل)، وفي (ض): (خير).

روى ذلك محمد بن فُضَيل، عن ليث عن مجاهـد ـ في تفسـير: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. وذَكَروا[1] ذلك من وجـوه أُخَـر مرفوعة وغير مرفوعة[2].

قال أبو جعفر بن جرير الطبري وغيره: هذا ليس مُناقِضًا لِمَا استفاضت

---

(١) في (أ): (روي)، وفي (ض): (وذكر).

(٢) جاء من كلام مجاهد عند ابـن أبي شـيبة في «مصـنفه» (٣١٦٥٢)، والطـبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٧)، وابن أبي عاصم في «السُّنة» (٦٩٥).

قال الإمام ابن تيمية في كتابه «دَرْء التعارض» (٥/ ٢٧٣):

(وإنه لثابت أنه عن مجاهد وغيره من السلف، وكان السـلف والأئمـة يروونـه ولا ينكرونه، ويتلقونه بالقَبول. وقد يقال: إن مثل هذا لا يقال إلا توقيفًا، لكن لا بد من الفرق بين ما ثَبَتَ من ألفاظ الرسول وما ثَبَتَ من كلام غـيره، سـواء كان من المقبول أو المردود).

وقال الإمام الآجُرّي في «الشريعة» بعد هذا الأثر (١١٠٠):

(وأما حديث مجاهد في فضيلة النبي ﷺ، وتفسيره لهذه الآيـة، أنـه يُقْعِـده عـلى العرش؛ فقد تَلَقَّاها الشيوخ من أهل العلم والنقل لحديث رسول الله ﷺ، تَلَقَّوْهـا بأحسن تَلَقٍّ، وقَبِلوها بأحسن قَبول ولم ينكروها، وأنكروا على مَـن رَد حـديث مجاهد إنكارًا شديدًا، وقالوا: مَن رَدَّ حديث مجاهد، فهو رجلُ سَوْء.

قلت (أي: الآجُري): فمذهبنا ـ والحمد لله ـ قَبول ما رسمناه في هذه المسألة مما تقدم ذكرنا له، وقَبول حديث مجاهـد، وتَـرْك المُعارَضـة والمُناظَرة في رده. والله المُوفِّق لكل رشاد والمُعِين عليه).

به الأحاديث، مِن أن المَقام المحمود هو الشفاعة باتفاق الأمة، مِن جميع مَن يَنتحل الإسلام ويدعيه، لا نقول[1]: إن إجلاسه على العرش منكر، وإنما أنكره بعض طَغَام الجهمية، ولا ذِكْره في تفسير الآية منكر[2]. بل في الأحاديث المستفيضة ما تُبين هذا لمن أَحْسَن فَهْمها، وأُوتي الارتواء من شراب الصِّديقين الذين يَفهمون مقاصد الرسول، بما شابهت قلوبهم قلبه؛ كفَهْم أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ هو المُخَيَّر حين ذَكَر النبي ﷺ عبدًا خَيَّره الله بين الدنيا والآخرة، فبكى أبو بكر رضي الله عنه، وكان أَعْلَمهم به[3].

وذلك أن في «الصحيح» عن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مِثل ما يقول، ثم سَلُوا الله لي الوسيلة؛ فإنها درجة في الجنة، لا تنبغي[4] إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد، فمَن سأل الله لي الوسيلة فقد حَلَّتْ له الشفاعة»[5].

---

(1) في (ي): (لا يقول).

(2) راجع «تفسير الطبري» (15/ 51) ففيه بحث طويل. ط/ هَجَر.

(3) أخرجه البخاري (466)، ومسلم (2 ـ (2382)).

(4) في (أ): (ينبغي) والتصحيح من «صحيح مسلم».

(5) أخرجه البخاري (614)، ومسلم (11 ـ (384)).

ولفظ مسلم: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صَلُّوا عليَّ؛ فإنه مَن صلى عليَّ صلاة، صلى الله عليه بها عَشْرًا، ثم سَلُوا الله لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمَن سأل لي الوسيلة حَلَّتْ له الشفاعة».

فانظر إلى ارتباط مسألة الوسيلة بوجوب الشفاعة؛ فإنه من أسرار النبوة، ثم هذا الحديث وحده كافٍ إذ يقول: «لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد». فقد ثبت أن لمحمد ﷺ من القُرْب مقامًا محمودًا، لا يبلغه مَلَك مُقرَّب ولا نبي مُرسَل.

هذا مع ما قد تواترت به الأدلة، مثل قصة المعراج، أو ارتقائه إلى حيث تأخر عنه جبريل[1] وغيره، وما رُوي في ذلك من آثار بعضها لا أستحضره الآن، وبعضها لم أستثبته بعد، وبعضها أشهر من أن يُقيَّد، ليقتضي انفراد نبينا ـ بأبي هو وأمي، عليه أفضل صلاة وأزكى تسليم ـ بما لم يشركه فيه شيء من الخليقة قُرْبًا وأدبًا وحنانًا... وغير ذلك، مما تُزهق دون أدنى مرامه نفوس كثير من الملائكة والناس والجن. وإذا ثبت فضل فاضلنا على فاضلهم؛ ثبت فضل النوع على النوع، أعني صالحنا عليهم.

وأما التفضيل فنقول: أولًا ـ (أما الذوات) [فإن ذات الآدميين وحقيقتهم خَلَقها الله بيده][2]، وخَلَقها الله على صورته، ونَفَخ فيها[3] من رُوحه، ولم يَثبت ذلك[4] لشيء من الذوات، وهذا بحر يَغرق فيه السابح،

---

(1) لم أقف عليه.

(2) في (ص، ي): (فإن ذات آدم خلقها الله بيده) مكان ما بين المعقوفين، ولعلها أولى.

(3) في (ص، ي): (فيه).

(4) في (ص، ي): (هذا).

لا يخوضه إلا كل مُؤَيَّد بنور الهداية، وإلا وقع إما في التمثيل أو في التعطيل، فليكن ذو اللب على بصيرة أن وراء علمه مَرْمَاةً[1] بعيدة، وفوق كل ذي علم عليم.

وليوقن كل الإيقان[2] بأن ما جاءت[3] به الآثار النبوية[4] حَقٌّ ظاهر أو باطن، وإنْ قَصُر عنه عقله ولم يَبلغه علمه؛ فإنه ورَبِّ السماء والأرض لَحَقٌ مِثل ما أنكم تَنطقون، فلا تَلِجَنَّ باب ردّ وإنكار، أو باب تأويل وتفسير، وبقدر عقلك ومَبْلَغ علمك، أو باب صدود وإعراض، وإمساك وإغماض؛ ردًّا لظاهره وتعجبًا مِن باطنه؛ حِفْظًا لقواعدك التي اكتسبتها[5] بقواك، وضبطًا لأصولك[6] التي عَقَلَتْك عن جناب مولاك.

إياك ثم إياك مما يُخالِف التقديس والتنزيه، وتَوَقَّ[7] التمثيل والتشبيه، ولَعَمْري إن هذا هو[8] الصراط المستقيم، الذي هو أَحَدّ من السيف وأدق

---

(١) في (أ): (مَرْما)، والمُثبَت من (ض، ي).

(٢) في (أ): (الإيمان)، والمُثبَت من (ض، ي).

(٣) في (أ): (جاء)، والمُثبَت من (ي).

(٤) في (أ): (النبوي)، والمُثبَت من (ض، ي).

(٥) في (ض، ي): (كتبتها).

(٦) في (ض، ي): (وضبطتها بأصولك).

(٧) في (ي): (ويوفق)، وفي(أ): (وتَوالف)، والمثبت من (ض).

(٨) في (ي): (لهو) ولعله أولى.

من الشعر، ومَن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

وأما الصفات التي تتفاضل، فنقول: منها الحياة، وقد ثَبتَ للبشر الحياة السرمدية والبقاء الأبدية[1] في الدار الآخرة، بل قد جاء أنه يقال له في الجنة: «من الحي الذي لا يموت، إلى الحي الذي لا يموت، وإن الدار الآخرة لهي الحيوان»[2].

وليس للمَلَك[3] أكثر من هذا، وإن كانت حياتنا هذه الدنيا منقوصة بالموت، فقد أسلفتُ أن التفضيل واقع[4] بعد كمال الحقيقتين حتى لا يبقى إلا البقاء.

وأما العِلم، فقد زعم أن المَلَك مُعَلِّم[5] البشر، وأن الوحي إنما يَنزل عليهم بواسطة الملائكة؛ فإن إسرافيل صاحب اللوح المحفوظ... وغير ذلك من العلم الذي امتازت به الملائكة.

فنقول: أولًا ـ غير مُنكَر اختصاص كل قَبيل من العلم بما ليس للآخَر؛ فإن الوحي للرسل على أنحاء؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١].

---

(١) في (ض، ي): (الأبدي)، ولعلها أَوْلى.

(٢) لم أقف عليه، لكن ذَكَره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٨٠) بدون إسناد.

(٣) في (ي): (للملائكة).

(٤) في (ض): (إنما يقع).

(٥) في (ي): (يعلم).

فبيَّن تعالى أن الكلام للبشر على ثلاثة أوجه، منها وجه واحد يكون بتوسط المَلَك، ووجهان آخَران ليس للمَلَك فيهما واسطة[1].

وأين المَلَك من ليلة المعراج، ويوم الطُّور، وتعليم الأسماء؟ بل وأضعاف ذلك؟

ولو ثَبَت أن عِلم البشر في الدنيا لا يكون إلا بتوسط المَلَك[2] - وهو والله باطل - وكيف[3] يصنعون [---][4] في الآخرة حيث لا واسطة؟! وقد قال الصادق المصدوق: «فيَفتح الله عليَّ من محامده والثناء عليه [ما لم يفتحه على أحد قبلي][5]»[6].

إذا تَبَيَّنَ أن العِلم مقسوم من الله، وأنه ليس كما زعم هذا الغبيّ أن المَلَك يُعَلِّم البشر على الإطلاق[7] فالحُكم بأن المَلَك أعلم بعد ذلك قول

---

(١) في (ض، ي): (وحي).

(٢) في (ض، ي): (إلا على أيدي الملائكة).

(٣) في (ض، ي): (فكيف).

(٤) هنا كلمة غير واضحة.

(٥) في (ض، ي): (بأشياء يلهمنيها لم يفتحها الله على أحد قبلي) مكان ما بين المعقوفين.

(٦) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

ولفظ البخاري: «فأقع ساجدًا لربي عز وجل، ثم يَفتح الله عليَّ من محامده وحُسْن الثناء عليه - شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي».

(٧) في (ض، ي): (بأنه لا يكون إلا [تحتمل أيدي أو أبدي أو بأيدي] الملائكة على الإطلاق).

بلا علم، بل الذي يدل عليه القرآن دلالة بينة أن الله تعالى اختص آدم من العلم بما لم يكن عند الملائكة، وهو علم الأسماء الذي هو أشرف العلوم، وحَكَم بفضله عليهم لمزيد العلم. فأين العدول عن هذا الموضع إلى بُنيَّات الطريق؟!

ومنها: القدرة، فزَعَم بعضهم أن المَلَك أقوى وأقدر، ونزعوا بأن جبريل عليه السلام[1] حَمَلَ قُرَى قوم لوط الستة على ريشة من جناحه[2]، وقد سَمَّاه الله ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[النجم: ٥].

لكن فقد[3] أتى الله بعض عباده المؤمنين ما يُرْبِي على[4] ذلك!

فأَغْرَق جميع أهل الأرض بدعوة نوح.

وقال النبي ﷺ: «إن مِن عباد الله مَن لو أَقْسَم على الله، لأَبره»[5].

و«رُبّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأَبَرّه»[6] وهذا عامّ في كل الأشياء.

---

(١) في (ض، ي): (وذكر قصة جبريل بأنه شديد القوى).

(٢) لم أقف عليه مرفوعًا، راجع «تفسير الطبري» (١٢/ ٥١٧ ـ ٥٢١).

(٣) لعل (قد) أفضل.

(٤) في (ض، ي): (أعظم من).

(٥) أخرجه البخاري (٢٧٠٣)، ومسلم (١٦٧٥).

(٦) هذا الحديث زيادة من (ي)، والحديث أخرجه مسلم (٢٦٢٢)، بدون لفظة (أغبر) أخرجها عبد بن حُميد في «مسنده» (١٢٣٤)، والترمذي في «سُننه» (٣٨٥٤).

وجاء تفسير ذلك في آثار: إن مِن عباد الله مَن لو أَقْسَم على الله أن يزيل جبلًا[1] أو الجبال عن أماكنها، لأزالها، وأن لا يقيم القيامة لَمَا أقامها[2].

ولا يقال: إن ذلك يُفْعَل بفضل بقوة خُلِقَتْ فيه، وهذا بدعوة يدعوها؛ لأنهما في الحقيقة يَؤولان إلى شيء واحد، هو مقصود القدرة ومطلوب القوة، وما من أجله يَفضل القوي على الضعيف.

ثم هَبْ أن هذا في الدنيا، فكيف تصنعون في الآخرة؟ وقد جاء في الأثر: «يا عبدي، إني[3] أقول للشيء: كن فيكون، فإن أطعتني جعلتُك[4] تقول للشيء: كن فيكون»[5][6] فهذه غاية ليس وراءها مَرْمًى فافهمه، كيف

---

(١) في(أ): (جبل)، والمثبت من (ض، ي).

(٢) في (ض، ي) هنا زيادة: (وهذا مبالغة) وأظنها مقحمة، وليست من كلام الإمام ابن تيمية.

(٣) في (ض، ي): (أنا).

(٤) في (ض، ي): (أطعني أجعلك) مكان (فإن أطعتني جعلتك).

(٥) في (ي): زيادة (يا عبدي، أنا الحي الذي لا يموت [وفي (ض): (أموت)] أطعني أجعلك حيًا لا تموت.

وفي أثر «أن المؤمن تأتيه التحفة من الله تعالى من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت»).

(٦) لم أقف عليه، ولعله من كلام بعض الصوفية.

وقال العَلَّامة القرافي في «الفروق» (٤/ ٢٦٣) ط/ عالم الكتب:

لا وهو بالله يَسمع، وبه يُبصِر، وبه يَنطق، وبه يَعقل، وبه يَبطش، وبه يسعى؟!
[وكيف يقوم لقوته قوة، والله من ورائهم محيط][1]؟!

وأما الطهارة والنزاهة والتقديس والبراءة عن المناقص والمعائب، والطاعة التامة الخالصة لله [حتى لا يكون معصية، وإنما يكون الفعل بالأمر][2]، فقد قال قائل: أنّى للبشر بهذه الصفات؟! وهي على الحقيقة أسباب الفضل[3]؛ كما قيل: لا أَعْدِل بالسلامة شيئًا؟!

فالجواب من وجوه:

= (وقد وقع ذلك لجماعة من جهال الصوفية، فيقولون: (فلان أُعْطِيَ كلمة كن) ويَسألون أن يُعْطَوْا كلمة (كن) التي في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[النحل: ٤٠] وما يَعلمون معنى هذه الكلمة في كلام الله تعالى، ولا يَعلمون ما معنى إعطائها إن صح أنها أُعْطِيَتْ.

وهذه أغوار بعيدة الرَّوْم على العلماء المُحصِّلين، فضلًا عن الصوفية المتخرصين، فيَهلكون من حيث لا يَشعرون ويعتقدون أنهم إلى الله تعالى متقربون، وهم عنه متباعدون.

عَصَمَنَا الله تعالى من الفتن وأسبابها، والجهالات وشبهها.

(١) في (ض، ي): (فلا يقوم لقوته قوة) مكان ما بين المعقوفين.

(٢) في (ض، ي): (التي ليس معها معصية ولا سهو ولا غفلة، وإنما أفعالهم وأقوالهم على وَفْق الأمر) مكان ما بين المعقوفين. ولعلها أَوْلَى.

(٣) في (ض، ي): (من أين للبشر هذه الصفات، وهذه الصفات على الحقيقة هي أسباب الفضل).

أحدها: أنا إذا نظرنا إلى هذه الأحوال في الحياة الآخرة [كانت البشر على أكمل][1] حال وأتم وجه، وقد أسلفنا[2] أن الكلام ليس هو في تفضيلهم في هذه الحياة فقط، بل عند الكمال والتمام والاستقرار في دار الحيوان.

ولهذا وَجْه[3] قاطع لكل ما كان من جنس هذا الكلام، فأين هم من أقوام تكون وجوههم كالشمس في حين الظهيرة[4] لا يبولون ولا يمتخطون[5] ولا يَبصقون، ليس فيهم ذَرَّة من العيب ولا نملة من النقص.

والوجه الثاني: أن هذا بعينه هو الدليل على فضل الآدميين، كما قال مَن قال: (إن البشر جُعِلَتْ لهم عقول وأهواء، والملائكة جُعِلَتْ لهم عقول ولم يُجْعَل لهم أهواء، فمَن غَلَب عقلُه هواه فهو خير من المَلَك).

وإلى هذا الوجه أشار عبد الله بن سَلَام حين قال: «إنما جبريل وميكائيل خَلْق مُسَخَّر مثل الشمس والقمر، وما خَلَق الله خَلْقًا أَكْرَم عليه من محمد» فبيَّن أنهم مخلوقون على طريقة واحدة وصفة لازمة، لا سبيل إلى انفكاكهم عنها، ولا ضَيْر في ملازمتها، والبشر بخلاف ذلك.

---

(١) في (ض، ي): (كانت في الآخرة وللمؤمنين على أكمل) مكان ما بين المعقوفين.

(٢) في (ض، ي): (قدمنا).

(٣) في (ض، ي): (وفيه وجه) مكان (ولهذا وجه).

(٤) في (ض، ي): (وجوههم مثل القمر ومثل الشمس).

(٥) في (ض، ي): (يتمخطون).

الوجه الثالث: أن ما يقع من صالح البشر[1] من الزلات والهفوات يُرْفع لهم به الدرجات، وتُبَدَّل لهم السيئات حسنات؛ فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، ثم يستغفرون فيَغفر لهم[2].

فإن العبد لَيَصنع السيئة فيَدخل بها الجنة[3]، ولو لم يكن العفو أحبَّ الأشياء إليه لَمَا ابتَلى بالذنب أكرمَ الخَلْق عليه!

وأين هم من قوله: «قد غَفَرْتُ لعبدي، فليَفعل ما شاء»[4]

---

(1) في (أ): (صالحيهم)، والمثبت من (ض، ي).

(2) ودليله: ما أخرجه مسلم في «صحيحه» (١١ ـ (٢٧٤٩)): عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيَغفر لهم».

(3) في (ض، ي): (ومنهم مَن يعمل سيئة تكون سبب دخول الجنة).

(4) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٩ ـ (٢٧٥٨)) ولفظه: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، فيما يَحكي عن ربه عز وجل قال: «أَذْنَب عبد ذنبًا، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي! فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا، فعَلِم أن له ربًّا يَغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب، فقال: أيْ رب، اغفر لي ذنبي! فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا، فعَلِم أن له ربًّا يَغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب فقال: أيْ رب اغفر لي ذنبي! فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا، فعَلِم أن له ربًّا يَغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئتَ فقد غفرتُ لك». ولفظ «قد غفرتُ لعبدي، فليَعمل ما شاء» جاء في مسلم أيضًا في أحد طرق الحديث.

وفرحه[1] بتوبة عبده كأشد ما يَفرح العباد[2] وضَحِكه من علم العبد أنه لا يَغفر الذنوب غيره[3].

فافهم هذا فإنه من أسرار الربوبية، وبه ينكشف سبب مواقعة المقربين للذنوب.

---

(١) في (ض، ي): (وكذلك فرحه).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٣ ـ (٢٧٤٤).

ولفظ مسلم: عن الحارث بن سُوَيْد قال: دخلتُ على عبد الله ـ أعُوده وهو مريض، فحدثنا بحديثين: حديثًا عن نفسه، وحديثًا عن رسول الله ﷺ، قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «للهُ أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن ـ من رجل في أرضٍ دَوِيَّة مُهلِكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنتُ فيه، فأنام حتى أموت! فوَضَع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته، وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده».

(٣) ودليله: ما أخرجه أحمد في «مسنده» (٧٥٣)، وأبو داود في «سُننه» (٢٦٠٢)، والترمذي في «سُننه» (٣٤٤٦) وغيرهم. وقال الترمذي: هذا حديث حَسَن صحيح. ولفظه: قال رسول الله ﷺ : «يَعجب الرب من عبده إذا قال: رب اغفر لي. ويقول: عَلِم عبدي أنه لا يَغفر الذنوب غيري».

وأما صفة الضحك فثابتة لله عز وجل، والحديث أخرجه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٢٨ ـ (١٨٩٠)): عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يَضحك الله إلى رجلين يَقتل أحدهما الآخر يَدخلان الجنة...» الحديث.

الوجه الرابع: ما رُوِيَ أن الملائكة لَمَّا اسْتَعْظَمَتْ[1] خطايا بني آدم، ألقى الله تعالى على بعضهم[2] الشهوة المجعولة في بني آدم، فواقعوا الخطيئة[3].

وقد جاء ذلك في قصة هاروت وماروت وغيرهما، وهو احتجاج من الله لنا على الملائكة، وعُذْر منه لنا، فله الحمد في الأولى والآخرة، وحده لا شريك له.

وأما العبادة والطاعة، فقد قالوا: إن الملائكة دائمو العبادة، وملازمو التسبيح، ومنهم قيام لا يقعدون، وقعود لا يقومون، وركوع لا يسجدون، وسجود لا يركعون ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[الأنبياء: ٢٠].

والجواب: أن الفضل بحُسْن[4] العمل وجَوْدته، لا بقدره وكثرته؛ كما قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[الملك: ٢] ولم يقل: (أكْثَر عملًا)، وقال: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾[الكهف: ٣٠].

ورُبّ تسبيحة من إنسان أفضل مِن عملِ مِلء الأرض مِن غيره[5].

---

(١) في (أ): ((لمَّا شكت)، والمثبت من (ض، ي):

(٢) في(أ): (جَعَل فيهم)، والمثبت من (ض، ي).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (ض، ي): (بنفس).

(٥) في (ض، ي): (ورُبّ تسبيحة من إنسان أفضل من مِلء الأرض من عمل غيره).

وقد كان إدريس يُرفَع له في اليوم مِثل عمل جميع أهل الأرض[1] وإن الرجلين ليَكون مَقامهما في الصف، وأجْر ما بين صلاتهما[2] كما بين السماء والأرض[3].

وقد قالوا: إن علماء الآدميين مع وجود المُنافِي والمُضاد أحسن وأفضل.

ثم هم في الحياة الآخرة[4] يُلْهَمُونَ التسبيح كما يُلْهَمُونَ النَّفَس.

وأما النفع المتعدي والنفع للخَلْق وتدبير العَالَم، فقد قالوا: هم الذين تَجري أرزاق العباد[5] على أيديهم، ويَنزلونَ بالعلوم والوحي، ويَحفظون[6] ويُمْسِكون... وغير ذلك من أفعال الملائكة.

والجواب: أن صالحي البشر لهم مِثل ذلك وأكثر منه!

ويكفيك مِن ذلك شفاعة الشافع المُشَفَّع في جميع أهل البشر لكي يُحاسَبوا، ثم شفاعته في جميع أهل الجنة حتى يَدخلوا الجنة، ثم شفاعته في

---

(١) «تفسير القرآن من جامع عبد الله بن وهب» (٢/ ٧٩) برقم (١٥١) من كلام كعب الأحبار.

(٢) في (ض، ي): (صلاتيهما) ولعلها أولى.

(٣) في (ض، ي) زيادة: (وقد رُوي: «أنين المذنبين أحب إليَّ من زجل المسبحين»).

(٤) في (ض، ي): (في الحياة الدنيا وفي الآخرة).

(٥) في (أ): (الأرزاق)، والمثبت من (ض، ي).

(٦) في (ي): الظاهر أنها (ويخفضون).

النبيين حتى يخرج من النار مَن شاء الله، ثـم بعـد ذلـك تَشـفع الملائكـة[1] النبيون.

وأيــن هــم مــن قولــه تعــالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧][2]؟؟!

وأين هم ممن يُؤْثِرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصة؟

وأين هم ممن دَعَا إلى هُدًى وسَنَّ سُنة حسنة[3]؟

---

(١) في (ض، ي): (تقع شفاعة الملائكة).

(٢) في (أ): (وأين هم من تدبير الأغواث والأقطاب والأبـدال والأوتـاد والنجـاء والنقباء؟!).

وفي النفس شيء من هذا ومما في المطبوع، لكن لفظة (تدبير) يقينًا ليست مـن كـلام شيخ الإسلام، وأخشى أن تكون مقحمة، وهذه اللفظة سقطت من (ض، ي).

وجاء في من كاتب النسخة (ض، ي) مع بعض الاختـلاف في (ض): «وقعـت لفظة الأقطاب والأبدال والأوتاد والأغواث ـ أعني هذه الأسماء ـ لأن الشيخ رحمه الله تعالى لا يَرضى هذه التسمية في بعض مصنفاته، بل لعله لا يَـرضى بإثبـات المسميات، فلما لم نَرَ نفسه على أولئك الأسماء عَلِمنا إنما وقعت هذه الألفاظ ممن لا علم عنده، وإنما هو شيء سمعه من العامة؛ فلظنه صحة ذلك أدرج هذه الألفاظ في كلام المصنف. فأردنا التنبيه على ذلك فليُتأمل (كاتبه) والله أعلم».

وراجع كلام شيخ الإسلام في هذه المسميات في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٣٣).

(٣) في (ض، ي): (وأين هم ممن يُدْعَوْا إلى الهدى ودين الحق، وممن سَن سُنة حسنة).

وأين هم من قوله: «وإن مِن أمتي لَمَن يَشفع في مثل ربيعة ومُضَر»[1]؟

فهذا - هداك الله - وَجْه التفضيل بالأسباب المعلومة، ذَكَرْنا منه أنموذجًا نَهَجْنا به السبيل، وفَتَحْنا به الباب إلى دَرْك فضائل الصالحين وكرامات المؤمنين. مَن تَدَبَّر ذلك وأُوتِيَ منه حظًّا رأى وراء ذلك ما لا يحصيه إلا الذي أحصى كل شيء عددًا.

وإنما عَدَلَ عن ذلك قوم لم يكن لهم من القول [والعلم][2] إلا ظاهره، ولا من الحقائق إلا رسومها؛ فوقعوا في بِدع وشبهات وتاهوا في مواقف ومجازات، وها نحن نَذكر ما احتجوا به إن شاء الله تعالى.

الحُجة الأولى: قوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢].

والذي يريد إثبات ذل الأعاظم وانقياد الأكابر إنما يَبدأ بالأدنى فالأدنى، ومرتقيًا[3] إلى الأعلى فالأعلى؛ ليَرقى المُخاطَب في فَهْم عظمة مَن انقيد له وأطيع درجة درجة.

وإلا فلو فوجئ انقياد[4] الأعظم ابتداء، لَمَا حَصَل تبيين مراتب العظمة.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٨٥٨)، والبخاري في «تاريخه» (٢/ ٢٦١) وقال البخاري: إسناده ليس بذاك المشهور. والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٣٦٠).

(٢) (والعلم) زيادة من (ض، ي).

(٣) في (ض): (مترقيًا).

(٤) لعل الأفضل: (بانقياد).

ولو وقع ذِكر الأدنى بعد ذلك (لكان)(1) ضائعًا، بل يكون رجوعًا ونقضًا.

[ولهذا جَرَتْ فطرة الخَلْق أن يقول القائل: (لا يأبى فلان أن يُكْرِمك، ولا مَن هو فوقه) ولا يقول: (ولا مَن دونه)](2).

فالانتقال من المسيح إلى الملائكة دليل على فضلهم، كيف وقد نُعِتوا بالتقريب الذي هو عين الفضائل؟!

والجواب: زَعَم القاضي أن هذا ليس من نمط(3) الأعلى على الأدنى، وإنما هو عطف ساذج(4).

قال: وذلك أن قومًا عَبَدوا المسيح وزعموا أنه ابن الله سبحانه، وقومًا عَبَدوا الملائكة وزعموا أنها بنات الله؛ كما حَكَى الله تعالى عن الفريقين بقوله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[التوبة: 30] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾[الصافات: 158] وقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ سُبْحَـٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾[النحل: 57].

---

(1) ما بين القوسين زيادة من عندي.

(2) في (ض، ي): (ولهذا جرت فِطر الخلق أن يقال: (فلان لا يأتيني، وفلان يأتيني؟!) أي: كيف يَستنكف عن الإتيان إليَّ، وفلان أكرم منه وأعظم وهو يأتيني؟! ولا يقال: لا [يأبى فلان أن يكرمك ولا مَن هو فوقه) مكان الفقرة كلها.

(3) في (أ، ض، ي) هكذا. وفي (ط): (عطف) ولعلها أَوْلَى.

(4) هكذا.

فبيَّن الله تعالى في هذه الآية أن المعبودين[1] لن يستنكفوا[2] عن عبادتي[3]، وأنهما لو استنكفا عن عبادتي لعذبتُهما[4] عذابًا أليمًا. والمسيح هو الظاهر، وهو من نوع البشر.

وهذا الكلام فيه نظر، والله أعلم بحقيقته.

ثم نقول: إن كان هذا هو المراد فلا كلام، وإن أريدَ الانتقال من الأدنى إلى الأعلى، فاعلم -نَوَّر الله قلبك، وشَرَح صدرك للإسلام- أن الملائكة لهم خصائص ليست للبشر، لا سيما في الحياة الدنيا. هذا ما لا يستريب فيه لبيب، فلا ريب أنهم اليوم أعلى مكانًا وأقرب إلى الله، وأَظْهَر جسومًا وأعظم خلقًا، وأجمل صورًا وأطول أعمارًا، وأَيْمَن آثارًا... إلى غير ذلك من الخصائل الحميدة مما نَعلمه وما لا نَعلمه. وللبشر أيضًا خصائص ومزايا.

لكن الكلام في مجموع كل واحدة من المَزِيَّتين أيهما أفضل [---][5]؟ وهذا وراء ذلك هذا طريق مُمَهِّد لهذه الآية وما بعدها[6].

---

(١) في (ض، ي): (أن هؤلاء الذين عبدتموهم من دوني هم عبادي) مكان (أن المعبودين).

(٢) لعل الأولى: (يستنكفا) لأن الكلام بعده مُثنى.

(٣) في (أ): (عن عبادة الحق)، والمثبت من (ض، ي).

(٤) في (أ): (لعَذَّبهما)، والمثبت من (ض، ي).

(٥) الواضح في (أ) وجود سقط هنا، وأشار الناسخ لهذا.

(٦) في (ي): زيادة (أيهما أفضل هذا طريق ممهد لهذه الآية وما بعدها، وهو وراء ذلك).

بحيث جرى ما يوجب تفضيل المَلَك، فلِما مُيِّزوا بـه واختُصـوا بـه مـن الأمور التي لا تنبغي لِمَن هو دونهم فيها أن يتفضل عليهم فيما هو من أسبابها.

وذلك أن المسيح عليه السلام لو فُرِض استنكافه عن العبادة، فإنما هو لما أُيِّد به[1] من الآيات؛ كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء المـوتى، والإخبـار بما يَدَّخرون، وغير ذلك، ولأنه خَرَج في خَلْقه عن سُـنن بني آدم، وفي عزوفـه عن الدنيا وما فيها أعطي الزهد.

وما من صفة من هذه الصفات إلا والملائكة أظهـر منـه فيهـا! فـإنهم كلهم خُلِقوا من غير أبوين[2].

وقد كان فرس جبريل يحيا به التراب الذي يمر عليه[3] وعِلْم مـا يَـدخر العباد في البيوت عليهم[4] سَهْل.

وفي حـديث أبـرص وأقـرع وأعمـى أن الملـك[5] مَسَـح عـلى داء كُـلٍّ فبرأ[6][7].

---

(١) في (ض، ي): (استنكافه عن عبادة الله، فإنما هو لما أيده الله به).

(٢) في (ي): زيادة (ومن غير أم).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (ي): (في بيوتهم على الملائكة) ، وزدت (يدخر العباد) من (ض، ي).

(٥) في (أ): (جبريل)، والمثبت من (ض، ي) وهو الموافق لما في «الصحيحين».

(٦) في (ي): (مسح عليهم فبرءوا).

(٧) أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (١٠ ـ (٢٩٦٤)) وليس فيه أن جبريل هو مَن مَسَح عليهم، إنما ذُكِر بلفظ: (مَلَك)، والرواية هنا مختصرة.

فهذه الأمور التي من أجلها عُبِد المسيح وجُعِلَ ابنًا لله عز وجل ـ للملائكة منها أوفر [نصيب وأعلى منها] وأعظم مما للمسيح[١]، وهم لا يستنكفون عن عبادة الرحمن، فهو أَخْلَقُ[٢] أن لا يَستنكف.

وأما القُرْب من الله والزلفى لديه، فبأمور وراء هذه المعجزات والآيات والبينات.

وأيضًا: فأقصى ما في هذا تفضيلهم على المسيح؛ إذ هو في هذه الحياة الدنيا.

وأما إذا استقر في الحياة الآخرة وكان ما كان مما[٣] لستُ أذكره[٤] فمِن أين يقال: ذلك[٥]؟! والله سبحانه أعلم.

الحُجة الثانية: قوله تعالى آمرًا لنبيه: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ ﴾[الأنعام: ٥٠]. ومِثله في قصة نوح عليه السلام[٦].

والاحتجاج بهذا من وجوه:

---

(١) في (أ): (له)، والمُثبَت من (ض، ي)، وما بين المعقوفين زيادة من (ض، ي).

(٢) أي: أَحَقُّ.

(٣) في (أ): (فما)، والمُثبَت من (ض، ي).

(٤) في (ض، ي): (أذكر).

(٥) (ض، ي): (إنهم هناك أفضل منه).

(٦) في (ض، ط، ي): (ومِثله في هود).

أحدها: أنه قَرَن استقرار خزائن الله وعِلْم الغيب بأنه مَلَك، وسَلَبها عن نفسه في نَسَق واحد.

فإذا كان حال مَن يَعلم الغيب، ويَقدر على الخزائن أفضل من حال مَن لا يكون كذلك؛ وجب أن يكون حال المَلَك أفضل من حال مَن ليس بمَلَك وإن كان نَبيًّا، كما في الآية!

وثانيها: أنه إنما نفى عن نفسه حالًا أعظم من حاله الثابتة له، ولم يَنْفِ حالًا دون حاله؛ لأن مَن اتصف بالأعلى فهو على ما دونه أقدر، فلا[1] نفى الأدنى عنه إذا كان إنما نفى حالًا هي أعلى، وقد نفى أنه مَلَك؛ [دل على أنه أعظم من حاله أن يكون مَلَكًا][2] وهو المطلوب.

وثالثها: ما ذَكَر القاضي أنه لولا ما استقر في نفوس المُخاطَبِين من أن المَلَك أعظم؛ لَمَا حَسُن مواجهتهم بسلب شيء هو دون مرتبته.

وهذا الاعتقاد الذي كان في نفوس المُخاطَبِين ـ أَمْر قُرِّروا عليه ولم يُنكَر[3] عليهم، فثَبَت أنه حق!

والجواب من وجوه:

---

(1) في (أ) أشار الناسخ إلى أنه يوجد هنا سقط. وفي (ض، ي): (فلأنه إنما).

(2) في (ي): (فدل على أن حال المَلَك أفضل من حاله أن يكون مَلَكًا) مكان ما بين المعقوفين.

(3) في (ض، ي): (ينكره).

أحدها: ليس[1] أنه نفى أن يكون عَالِمًا بالغيب وعنده خزائن الله، ونفى أن يكون مَلَكًا لا يأكل ولا يَشرب ولا يتمتع. بل إنما نفى ذلك، وإنما نفى ذلك عن نفسه [وجب أن يكون الملائكة أفضل منه][2].

ألا ترى أنه لو قال: (ولا[3] أنا كاتب، ولا أنا قارئ) لم يدل على أن الكاتب والقارئ أفضل ممن ليس بكاتب ولا قارئ. فلم يكن في الآية حُجة! وأيضًا: ما قال القاضي، إنهم طلبوا صفات الألوهية، وهي العِلم والقدرة والغِنى، وهو: أن يكون عَالِمًا بكل شيء، قديرًا على كل شيء، غنيًا عن كل شيء، فسَلَب عن نفسه صفات الألوهية؛ ولهذا قالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾[الفرقان: ٧] فقال تعالى: مُحتجًا عنه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾[الفرقان: ٢٠].

فكأنهم أرادوا منه صفة الملائكة، [أن يكون ملتبسًا بها][4] فإن للملائكة[5] صَمَدٌ لا يأكلون ولا يشربون، والبشر جَوْف[6] يأكلون ويشربون.

---

(١) (ليس) سقطت من (ض، ي).

(٢) في (ض): (وجب أن لا يكون المَلَك أفضل منه)، وفي (ط): (لم يجب أن يكون المَلَك أفضل منه) مكان ما بين المعقوفين.

(٣) لعل (لا) أفضل.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ض، ي).

(٥) في (أ): (فإنهم)، والمُثبت من (ض، ي).

(٦) في (ض، ي): (لهم أجواف).

وكأن الأمر إلى هذه الصفة، وهذا بَيِّن إن شاء الله تعالى.

وثانيها: أن المَلَك أكمل في أمر من الأمور، فنفى عن نفسه حال المَلَك في ذلك الأمر، ولم يَلزم أن لا يكون له فضيلة امتاز[1] بها.

وقد تَقَدَّم مِثل هذا، [ومهما فُرِض مِن عِظَم حال المَلَك فمُسَلَّم][2]، وأنه ليس للبشر من نوعه مِثله، ولكن لِمَ [لا][3] قلت: من غير نوعه[4] ما هو أفضل منه؟

ولهذا قد يقول الإنسان إذا سُئِل عما يعجز عنه: (لستُ بمَلك من الملوك) وإن كان المؤمن أفضل من حال الجني والمَلِك من الملوك.

وثالثها: أن أقصى ما فيه تفضيله[5] في تلك الحال. ولو سُلِّم ذلك لم يَنفِ أن يكون فيما بعد أفضل من المَلَك؛ ولهذا تَزيد قدرته وعِلمه وغناه في الحياة الآخرة. وهذا كما لو قال الصبي: (لا[6] أقول: إني شيخ، ولا أقول: إني عَالِم) ومن الممكن رُقيه[7] إلى تلك الحال وأكمَل منها.

---

(١) في (ض، ي): (يمتاز).

(٢) في (ض، ي): (فيما ذكر من حال المَلَك وعظمته) مكان ما بين المعقوفين. ولعلها أولى.

(٣) زيادة من: (ض، ي).

(٤) في (ض، ي) زيادة: (للبشر).

(٥) في (ض، ي): (تفضيل المَلَك).

(٦) في (أ): (لو)، والمُثبَت من (ض،ي).

(٧) في (ض، ي): (ترقيه).

الحُجة الثالثة: قول إبليس لآدم وحواء: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾[الأعراف: ٢٠] تقديره: كراهة أن تكونا. أو: لئلا[1] تكونا.

[فلولا أن لثبوتهما مَلَكين حالة هي أكمل من حالهما تلك، لَما وَجَّه العدو النهي عن الشجرة إلى منعهما من تلك الحال؛ فإنَّ قَصْده إغراؤهما بالحال التي يظنها هي العليا؛ ولهذا قَرَنه بالخلود، والخالد أفضل من الفاني، فكذلك المَلَك أفضل ممن ليس بمَلَك][2]!

والجواب من وجوه: أحدها: ما ذَكَره القاضي أن قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾[الأعراف: ٢٠] ظنًّا منه أن الملائكة خير منهما، كما ظَنَّ أنه خَيْر من آدم بقوله: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[ص: ٧٦] وكان مخطئًا في هذا الظن.

وقوله: ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾[الأعراف: ٢٠] ظنًّا منه أنهما يُؤْثِران الخلود؛ لِما في ذلك من السلامة من المرض والسَّقَم، والألم والأوجاع والآفات والموت؛ لأن الخالد في الجنة هذه صفته[3]، ولم يَخرج هذا مَخرج التفضيل على

---

(١) في(أ): (لأن لا)، والمثبت من(ض،ي).

(٢) في (ي): (فلولا أن كونهما مَلَكين حالة هي أكمل من كونهما بشرين، لَما أغراهما بها، ولَما ظنا أنها هي الحالة العليا؛ ولهذا قرنها بالخلود، والخالد أفضل من الفاني. والمَلَك أطول حياة من الآدمي، فيكون أعظم عبادة وأفضل من الآدمي) مكان الفقرة كلها.

(٣) في (ي): (حاله).

الأنبياء. ألا ترى أن الحُور والولدان المخلوقين في الجنة ـ من أهل الخلود، وليسوا بأفضل من الأنبياء؟

وثانيها: أن المَلَك أفضل من بعض الوجوه، وكما أن الخلود آثر عندهما فربما اختار الأنواع[1].

وثالثها: أن حالهما تلك كانت حال ابتداء لا حال انتهاء؛ فإنهما في الانتهاء قد صارا إلى الخلود الذي لا خطر فيه ولا مَنْع، ولا يَعقبه زوال؛ فلذلك[2] يصيران في الانتهاء إلى حال هي أفضل وأكمل من حال المَلَك الذي[3] أراداها أولًا، وهذا بيِّن.

الحُجة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[الحج: ٧٥] فبدأ بهم، والابتداء إنما يكون بالأشرف فالأشرف[4]، كما ابتدأ الله[5] تعالى في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

---

(١) في (أ): أشار إلى أنه في الموضع نظر.

وفي (ض، ط، ي): (الخلود آثر عندهما، فمالا إليه) ولعله الأصوب، لكن في (ي): (فمالا إليهما).

(٢) في (ي): (فكذلك).

(٣) لعل (التي) أفضل.

(٤) في (ض، ي): (بالأفضل والأشرف، فالأفضل والأشرف).

(٥) في (ض، ي): (كما بدأ بذلك).

﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾[النساء: ٦٩] [فبدأ بالأكمل والأفضل][١].

والجواب: أن الابتداء قد يكون كثيرًا بغير الأفضل، بل يُبتدأ بالشيء لأسباب متعددة.

كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ﴾[الأحزاب: ٧] ولم يدل ذلك على أن نوحًا أفضل من إبراهيم، والنبيين أفضل من محمد ﷺ[٢].

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾[الأحزاب: ٣٥] الآية. ولا يدل على أن المسلم أفضل من المؤمن.

[وبذلك يجاب عن قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾[آل عمران: ١٨][٣] فلعله ـ والله أعلم ـ إنما ابتدأ بهم [لأن الملائكة أقدم وخَلْقهم أسبق.

ولأن الرسل مبعوثون إلى الإنس؛ فذَكَر الأول فالأول، على ترتيبهم في الوجود][٤].

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة (ض، ي).

(٢) في (ي): (والنبي ﷺ أفضل النبيين).

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من هامش (أ) فقط.

(٤) في (ي): (لأن الملائكة أسبق خلقًا ورسالة؛ فإنهم أُرْسِلوا إلى الجن والإنس، فذكر الأول فالأول في الخلق والرسالة على ترتيبهم في الوجود).

وقد قال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩] [والذكور أفضل من النساء][1] وقال تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١] [وقال تعالى][2] ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١] إلى قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥]. وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] وقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١] إلى قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [الليل: ٣]. ولم يدل التقديم في شيء من هذه المواضع على فضل المبدوء بذكره[3] فعُلِم أنه ليس التقديم لازمًا للفضل.

الحُجة الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] فدل على أن المَلَك أعظم[4] من البشر، وهن إنما أردن أن يُثْبِتنَ له حالًا هي أعظم من حال البشر.

وقد أجابوا عنه بجوابين[5]:

أحدهما: أنهن كن يعتقدن[6] أن الملائكة أحسن من جميع النبيين وإن لم يروهم؛ لمُخْبِرٍ أخبرهم، فسكنوا[7] إلى خبره، فلما هالهن حُسْن يوسف

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ي).

(٢) (وقال تعالى) زدتها لأن السياق يقتضيها.

(٣) في (ض، ي): (به).

(٤) في (ض، ي): (أفضل) ولعلها أَوْلَى.

(٥) في (أ): (بوجهين)، والمُثْبَت من (ض، ي، ط).

(٦) في (ض، ي): (لم يعتقدن).

(٧) لعل الأفضل (وإن لم يرينهم؛ لمخبر أخبرهن، فسكنّ).

قلن: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] لأن هـذا الحُسْـن لـيس بصفة بشر.

وثانيها: أنهن اعتقدن أن الملائكة خَيْر من النبيين، فكان هذا الاعتقاد خطأ منهن.

ولا يقال: إنه لَمَّا [لَمْ][١] يُقْرَن بالإنكار، دل على أنه حق.

فإن قولهن: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ خطأ في نفيهن عنه أنه بشر وإثباتهن أنه مَلَك، وإن لم يُقْرَن بالإنكار، دل على أنه حق[٢].

وأقول أيضًا: إن النسوة لم يَكُنَّ يعتقدن في يوسف أنه نبي، بل ولا أنه من الصالحين إذ ذاك، ولم يَشهدن له بفضل[٣] على غيره من البشر في الصلاح والدين.

وإنما شَهِدن [له][٤] بالفضل في الجمال والحُسن، وشَبَّهْنَ جماله بجمال

---

(١) زيادة من (ض، ط، ي).

(٢) في (ي،ض): (فإن قولهن: (ما هذا بشرًا) خطأ، وقولهن: (إنْ هذا إلا مَلَك كريم) خطأ أيضًا [كلمة غير واضحة كأنها: عيبتهن] عنه أنه بشر، وإثباتهن أنه مَلَكٌ، وإن لم يقرن بالإنكار دل على أنه حق.

وإن قولهن: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ خطأ في نفيهن عنه البشرية وإثباتهن له المَلَكية، وإن لم يقرن بالإنكار؛ لغَيبة عقولهن عند رؤيته، فلم يُلَمْن في تلك الحال على ذلك).

(٣) في (ض، ي): (فضلًا).

(٤) زيادة من (ط).

الملائكة[1] فليس هذا من التفضيل الذي نحن فيه في شيء[2].

ثم نقول: إذا كان التفضيل بالجمال حقًّا، فقد ثَبَتَ أن أهل الجنة تدخل الزُّمْرة الأولى ووجوههم كالشمس، والذين يَلونهم كالقمر، والذين يَلونهم كأشد نجم في السماء إضاءة[3] فهذا حال السعداء عند المُنتهَى.

وإن كان في هذا تفضيل[4]، فإنما هو في هذه الحياة الدنيا؛ لِعِلْمٍ عَلِمه النسوة وأكثر الناس.

[وأما ما فَضَّل الله به عباده الصالحين][5]، [وما أَعَدّه الله لهم من

(١) في (ض، ي): (وشابهن جماله، فشبهنه بحال الملائكة).

(٢) في (ي): (وليس هذا من التفضيل الذي نريده في شيء)، وفي(ض): (وليس هذا من التفضيل في شيء الذي نريد).

(٣) الذي في البخاري (٣٢٤٦)، ومسلم (٢٨٣٤) وهذا لفظ البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أول زُمْرة تَدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد».

(٤) في (ض، ي): (وإن كان في الجمال والمَلَك تفضيل).

(٥) ما بين المعقوفين مثبت من (ض، ط).

وفي (أ): (عباد الله الصالحين) وأشار الناسخ قبله إلى أن هذا الموضع فيه نظر.

وفي (ي): (وأما فضل الله عباد الله الصالحين).

و(به) زيادة من عندي، والسياق يقتضيها.

الكرامة، فأكثر الناس عنه بمَعْزِل، ليس لهم نظر إليه، وكذلك ما آتاهم الله من العلم الذي غَبَطتهم الملائكة به[1] من أول ما خلقهم، وهو مما به يفضلون][2]. فهذا الجواب معتمد، وكذلك الذي قبله، وقد تَقَدَّما فلا[3].

الحُجة السادسة: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[التكوير: ١٩ ـ ٢١].

فوُصِف[4] جبريل بالرسالة والكرم والقوة والتمكين عند ذي العرش، وأنه مُطاع ثم إنه أمين، فوَصَفه بهذه الصفات الفاضلة، ثم عَطَف عليه قوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾[التكوير: ٢٢] فأضافه إلينا وسَلَبه الجنون[5]، وأثْبَت له الرؤية ـ رؤية جبريل ـ ونَفَى عنه البخل والتهمة، وفي هذا تفاوت تفاوت عظيم بين البشر والملائكة، وبين الصفات والنعم[6] وهذا شيء قاله بعض المعتزلة زل به عن سواء السبيل[7].

---

(١) في (ض، ي): (الذي غبطهم الله به) والمُثْبَت هنا من (ط) فقط.

(٢) ما بين المعقوفين مثبت من (ض، ط، ي) لأن العبارة في (أ) فيها خلل، وهي: (وما أعده ربهم، والملائكة قد أغبطوا من أول خلقهم ما به يفضلون).

(٣) هكذا في (أ)، والظاهر وجود سقط هنا.

(٤) في (ض، ي): (فهذه صفة).

(٥) في (ض، ي): (فأضاف الرسول البشري إلينا، وسَلَب عنه الجنون).

(٦) في(أ): (عظيم بين النعمتين)، والمثبت من (ض،ي).

(٧) في (ي): (الصراط).

والجواب: أولًا - أين هو من قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[الشرح: ١] السورة إلى آخرها.

وقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾[الضحى: ١] إلى آخرها؟ وقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[الفتح: ١] الآيات.

وقوله: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[الإسراء: ٧٩]؟!

وأين هو عن قصة المعراج[١]... إلى غير ذلك من الخصائص؟!

ثم أين هو عن الخُلة؟! وتقريب النَّجِيّ؟![٢] فهذا نِزاعُ مَن لم يَقْدِر للنبي ﷺ قَدْره.

ثم نقول[٣] ثانيًا: لَمَّا كان جبريل هو الذي جاء بالنبوة، وهو صاحب الوحي، وهو غيب عن الناس، لم يروه بأبصارهم ولم يسمعوا كلامه بآذانهم، وزَعَم زاعمون أن الذي يأتيه إنما هو شيطان يُعَلِّمه ما يقول، أو أنه من تعليم بعض الإنس[٤]؛ أَخْبَرَ الله تعالى العباد عن الرسول الذي جاء بالوحي[٥] ونَعَته أحسن النعت، وبَيَّن حاله أحسن البيان، وكان ذلك كله إنما هو

---

(١) في (ض، ي): زيادة: (التي تأخر فيها جبريل عن مَقامه).

(٢) في (ض، ي): (والتقريب)، لكن سقطت كلمة (النجي).

(٣) في (أ): (ثم يقول)، والمُثبَت من (ط ي).

(٤) في (ي): (أو أنه إنما يُعَلِّمه إياه بعض الإنس).

(٥) في (ض، ي): (به) مكان: (بالوحي).

تشريف[1] لمحمد ﷺ، ونفى عنه ما زعموه وتقريرًا لرسالته؛ إذ كان هو صاحبه الذي يأتيه بالوحي، فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[التكوير: ١٩] دلالة على أنه[2] لم يَنطق به من تلقاء نفسه، وإنما هو مُبَلِّغ يقول ما قيل له؛ فكان في اسم الرسول هنا إشارة إلى محض التوسط والسِّعاية. ثم وَصَفه بالصفات التي تنفي كل عيب، مِن القوة والمُكْنَة والأمانة والقُرب مِن الله سبحانه وتعالى.

فلما استقر حال الرسول المَلَكي وبَيَّن أنه من جهته، وأنه[3] لا يجيء إلا بالخير، وكان النبي ﷺ معلومًا ظاهره عندهم، وهو الذي يُبَلِّغهم[4] الرسالة، ولولا هو لَمَا أطاقوا الأخذ عن جبريل[5].

وإنما قال سبحانه: ﴿صَاحِبُكُم﴾[التكوير: ٢٢] إشارة إلى أنه قد صَحِبكم [سنين قبل ذلك، ولا سابقة له بما تقولون فيه، وتَرْمُونه من الجنون والسِّحر وغير ذلك][6]، وأنه لولا سابقة صُحبته[7] إياكم لَما أطقتم[8]

---

(١) في (أ) (تشريفًا)، والمثبت من (ض،ي).

(٢) في (ي): (أي أن الرسول البشري).

(٣) (وأنه) زيادة من (ض، ط، ي).

(٤) في (أ): (مبلغهم)، والمُثبَت من (ض، ط، ي).

(٥) في (ض، ي): (الرسول المَلَكي).

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ض، ط، ي).

(٧) في (ض، ي): (سابقته وصُحبته).

(٨) في (ض): (استطعتم).

لأخذ عنه! ألا تسمعه يقول: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾[الأنعام: ٩] بغير - بين الرسولين[١]، ثم حقَّق رسالته بأنه رأى جبريل، وأنه مُؤتمن على ما يأخذ عنه، فقام أمر الرسالة بهاتين[٢] الصفتين، وجاء على الوجه الأبلغ الأكمل الأصلح[٣].

وقد احتجوا بآيات قد تَقَدَّم التنبيه على مقاصدها، مِن وصف الملائكة بالتسبيح والطاعة والعبادة الدائمة... وغير ذلك، بما قد أشيرَ إليه.

الحُجة السابعة: الحديث المشهور الصحيح عن الله تعالى، أنه قال[٤]: «من ذَكَرني في نفسه ذَكَرْتُه في نفسي، ومَن ذَكَرني في ملأ ذَكَرْتُه في ملأ خيْر منهم[٥]»[٦].

والملأ الذي يَذكر اللهُ الذاكرَ فيه إنما هم الملائكة[٧]، وقد نَطَق الحديث بأنهم أفضل من الملأ الذين يَذكر العبد فيهم ربه، وخير منهم[٨].

---

(١) في (ض، ط، ي): (من المرسلين).

(٢) في (أ): (بها بين)، والمُثبَت من (ض،ي).

(٣) في (ض): (والأكمل والأصلح) [[لعل هذا أفضل]].

(٤) (أنه قال) زيادة من (ض، ط، ي).

(٥) في (أ) و(ض): (منه) وهكذا في مسلم، والمُثبَت من(ي) وهذا المُثبَت مُوافِق لرواية البخاري.

(٦) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢١ ـ (٢٦٧٥)).

(٧) في (أ): (الذي يَذكره الله تعالى فيهم هم الملائكة)، والمثبت من (ض، ي).

(٨) في (أ): (الذي يَذكر اللهَ العبدُ فيهم)، والمثبت من (ي).

وقد قال بعضهم: [وكم من ملإ ذُكِر الله فيه، والرسول حاضر فيهم، بل وقع ذلك في مجالس الرسل كلهم] [١].

والجواب: إن هذا الحديث صحيح، فهذا[٢] **أجود وأقوى ما احتجوا به، وقد أجابوا عنه بوجهين، أحدهما أضعف من الآخَر:**

أحدهما: أن الخير يَجوز أن يَرجع إلى الذِّكْر لا إلى المذكور فيهم، تقديره: (ذَكَرْتُه ذِكرًا خيرًا مِن ذِكْره) لأن ذِكْر الله تعالى كلامُه.

وهذا ليس بشيء! فإن الـ(خير) مجرور، صفة للـ(ملإ)، وقد وُصِل بقوله: «منهم»، ولم يَقُل: «منه» ولو كان ذلك المعنى، لقيل: (ذَكَرْتُه في ملإٍ خيرًا منه) بالنصب وفصلته[٣] بضمير الذكر[٤].

وهذا من أوضح الكلام لمن فقه العربية[٥]، ونعوذ بالله من التنطع.

---

(١) في (أ): (وكم مِن مَلإٍ ذُكَر الله في ملإٍ رسولهم فيهم)، والمُثبَت من (ض، ي).
ولكن كتب في (ض): (في مجالس الرسول كلهم).
وزاد بعدها في (ض، ي): (فأين العدول [في(ي): (المعدل)] عن هذا الحديث الصحيح).

(٢) في (ض، ي): (وهو).

(٣) في (ض، ط): (وصلة)، وفي (ي): (وصلته).

(٤) هكذا، وفي (ض): (الضمير الذكر).

(٥) في (أ): (كان فهيمًا بالعربية)، والمثبت من (ض، ي).

وثانيها: أنه محمول على ملإٍ ليس فيهم نبي[1] فإن الحديث عامّ عمومًا مقصودًا [شاملًا][2]، كيف لا والأنبياء والأولياء هم أهل الذِّكْر ومجالسهم مجالس الرحمة؟! فكيف يَجوز استثناؤهم[3]؟

لكن ها هنا أوجه متوجهة:

أحدها: أن الملأ الأعلى الذين يَذْكُرُ اللهُ العبد فيهم - هم صفوة الملائكة وأفضلهم[4]، والذاكر فيهم للعبد هو الله سبحانه، فينبغي أن يفرض على موازنة أفضل بني آدم يجتمعون في مجلس ذكر، وهذا لم يتفق قط، وأعظم مجلس ذُكِر الله فيه مجلس نبيه ﷺ، وإن كان أفضل البشر، لكن الذين حوله ليسوا أفضل ممن بقي[5]، فإن الأنبياء والمرسلين أفضل منهم.

وثانيها: أن مجلس أهل الأرض إن كان فيه جماعة من الأنبياء [يذكر العبد فيهم ربه][6] فالله تعالى يَذكر العبد في جماعات من الملائكة أكثر من[7]

---

(١) في (أ): (ما ليس فيه نبيَ)، والمُثْبَت من (ي).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ض، ي).

(٣) في (ض): (يجيء استثناؤهم).

(٤) في (ض، ي): (أن الملأ الأعلى الذي يَذكر الله من ذكره فيهم - هو صفوة الملائكة وأفضلهم).

(٥) في (ض، ي): (ليس أفضل مَن بقى من البشر الفضلاء).

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ض، ط، ي).

(٧) (أكثر من) زيادة من (ط، ي).

أولئك، فيقع الخير لكثرة الملائكة، كثرة لا يقـوم لهـا شيء[1]،[فـإن الجماعـة كلما كثروا كانوا خيرًا من القليل][2].

وثالثها: أنه لعل في الملإ الأعلى جماعة من الأنبياء يَـذكر الله العبـد فـيهم؛ فإن أرواحهم هناك.

ورابعها: أن مِن الناس مَن فَرَّقَ بين الخير والأفضـل، فيقـال: الخـير: الأنفع[3].

وخامسها: أنه لا يدل على أن الملأ الأعلى أفضل من هؤلاء الـذاكرين إلا في هذه الـدنيا وفي هـذه[4] الحـال؛ لأنهـم لم يَكْمُلـوا بَعْـد، ولم يَصـلحوا أن يصيروا أفضل من الملأ الأعلى، فالملأ الأعلى[5] خير منهم في هذه الحال، كـما يكون الشيخ العاقل خيرًا من عامة الصبيان؛ لأنه إذ ذاك فيه من الفضـل مـا ليس في الصبيان، ولعل في الصبيان مَن عاقبته أفضل منه بكثير.

ونحن إنما نتكلم بِناء على عاقبة الأمر ومُستقَره، فليُتَـدبَّر هـذا؛ فإنـه ـ إن

---

(١) في (ض، ي): (للكثرة التي لا يقوم لها شيء).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ض، ي).

(٣) في (ض، ي): (للأنفع).

(٤) (إلا في هذه الدنيا وفي) زيادة من (ض، ي). وفي (أ، ض): (هذا)، والمُثبَـت مـن (ي).

(٥) في (أ): (فاولئك) والمُثبَت من (ض، ي).

شاء الله تعالى ـ جوابٌ مُعتمَد، وأما الحُجج النظرية فقد تَقَدَّمَ[1] الإشارة إلى مجامعها.

والله سبحانه أعلم بحقائق خلقه[2]، وأَحْكَم في تدبيرهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

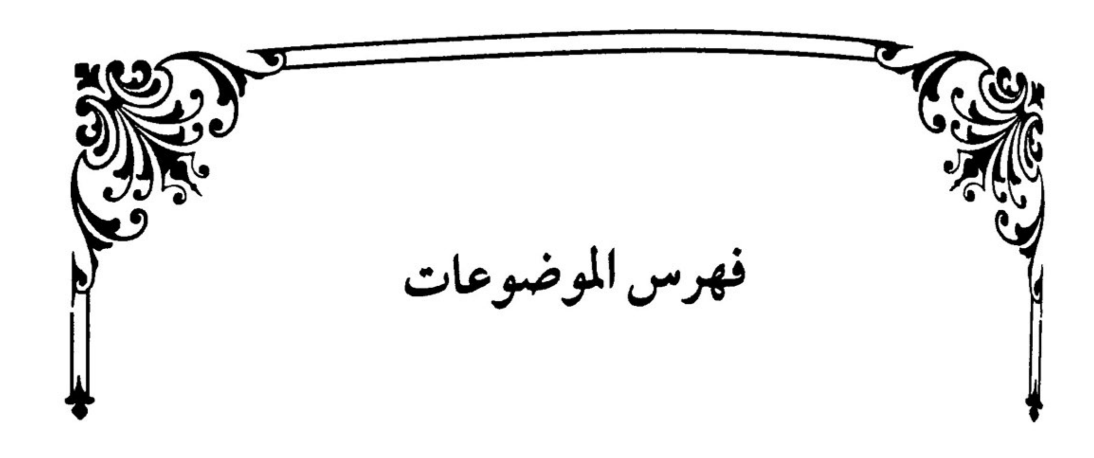
هذا ما تَيَسَّرَ تعليقه، وأنا عجلان في حين من الزمان، والله هو المسئول أن يَهدي قلوبنا، ويُسَدِّد ألسنتنا وأيدينا.

والحمد لله رب العالمين. وصَلَّى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين، وسَلَّم تسليمًا.

□□□

(١) لعل (تَقَدَّمَتْ) أَوْلَى.

(٢) في (ض، ي): زيادة: (وأفاضلهم).



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

□□□